لوح رخام أبيض

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى اكتوبر٢٠١٣

الطبعة الثانية ابريل ٢٠١٤

اسم الكتاب:لوح رخام أبيض

تأليف: تسنيم فهيد

رقم الإيداع: 2013/11695

الترقيم الدولي: 978-977-6376-42-7

***

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

© جميعُ الحقوق محفوظةٌ، وأيُ اقتباس أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من المؤلف؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

داركيان للنشروالتوزيع – ٢٢ ش الشهيد الحي بجوارمترو أم المصريين – الهرم

محمول: ٠١٠٠٥٢٤٨٧٩٤ – ٠١٠٠١٨٧٢٢٩٠ – أرضي: ٠٢٣٥٦٨٨٦٧٨

www.kayanpublishing.com – info@kayanpublishing.com

لوح رخام أبيض

تسنيم فهيد

مجموعة قصصية

إهداء أول

إلى سهير جاد.. الصِدِّيقَة.

إلى محمد فهيد.. الذي أنبتني نباتًا حسنا.

إلى إسراء وأحمد ومنة.. أضلعي الغائرة وظهري المستقيم.

إلى أفنان .. ابنتي التي أنجبتها أمي.

و.. إلى من آثروا الغياب ليضمنوا البقاء.

إهداء مُتَمِّم ..

إليه وكفى.

لوح رخام أبيض

أجلس على الأرض. أُبعثر محتويات كافة الحقائب. أفتح الأدراج. أبحث عن كل ما أملك من نقود. أدوّنهم في كشكول أمامي. أبدأ في الجمع على أصابعي. تنظر لي أمي بذهول. تسألني عما أفعل؟. أسألها عن سعر الرخام. تتعجب من السؤال. أُخبرها أني أريد أن أشتري لوح رخام أبيض كبيراً كي يكون شاهد قبري. تبهت أمي ولا تجادلني وتبتعد. أقرر أن أستعلم عن أسعار الرخام، غير أن كل من سألتهم سألوني عن حجم اللوح الذي أبتغيه. في الحقيقة لم أستطع أن أجيب فأنا لا أعرف تحديدًا مساحة المقبرة. نعم، فأنا لن أمتلك شاهد قبر تقليدي. بل سأصنع واحدًا وأضعه على واجهة البناية الصغيرة التي ترتفع عن الأرض وتغطّي مقبرة أهلي ذات العيون الثلاث. كل ما جال في فكري حين قررت أن أُخبر أصدقائي وأسرتي بقراري أنهم سيتهمونني بالنرجسية **-تخيلوا معي بناءً مرتفعًا عن الأرض يظلل مقبرة من ثلاث عيون يجري تغليفه بلوح رخام أبيض كبير يحتوي على جُملٍ قصيرةٍ قالها من أحبّوني «فقط من أحبّوني»-** ، لكنني صُعقت حين اتهموني بالجنون. أين الجنون في ذلك؟. أنا أريد أن يكتب كل

من أحبوني -على قِلّتهم- ما يريدون أن أحمله معي إلى قبري. في الأساس أنا لا أهتم لآراء الكل فيَّ. كل مشكلتي كانت في إقناعي لهم بالكتابة على هذا اللوح الضخم الذي اشتريته ووضعته في مدخل العمارة وجاهدت أمي كي تُقنع الجيران أن هذا مشروع «جدارية» أعمل عليه أنا وزملائي في الكلية. حين بدأت في مهاتفة أصحابي المقربين كي أسألهم عن جملة سيكتبونها لي بعد وفاتي. ضحكوا مني وأخبروني أنهم سيفعلون ذلك بعد وفاتي. حاولت إقناعهم أني إذا متُّ لن أعرف ما سيقولون، وأني فضولية جدًا وأريد أن أعرف الآن وأن أُشرف على كتابة الشاهِد واختيار نوع وحجم الخط وترتيب وضعية الجُمَل. لكنهم سبّوا بُرج العذراء الذي أنتمي إليه وتعاملوا مع الأمر بسخرية. وحده «أحمد» من وافقني وقرر أن يبدأ هو الكتابة والحفر على الشاهِد. وحين رأى أصحابي ابتسامتي وقد اتسعت بعد أن خطّ «أحمد» جملته التي سأحملها معي إلى العالم الآخر، بدأت دفاعاتهم في التساقُط. في البداية أرسلوا لي جُملَهم في رسائِل نصيّة. فيما بعد قرر بعضهم المجيء حتى مدخَل العمارة كي يكتب جملته بخط يدِه -**الأمر الذي زادني ابتهاجا فها أنا سأعبر نحو العالم الآخر متدثرة بخطوط أيدي من أحبوني**-. استغرقني الانتهاء من شاهدي حوالي ٥٦ يوما، كنت خلالها سعيدة جدًا. المشكلة الحقيقية التي لم

تطرأ بذهن أحد كانت حين أردت أن أنقل اللوح الرخاميّ إلى الجبّانة كي أضعه على واجهة المقبرة. في الأساس المقبرة ليست خاصة بأسرتي وحدها، بل بكل عائلة الـ غمري، ويحق لأي «غمري» أن يُدفَن فيها مادام نسبُه مثبتًا في سجلات العائلة. لكن أبي أخبرهم أن «البنت» تعبانة وأن وضع هذا اللوح كـ واجهة للمقبرة خاصتنا أمر الطبيب. وبالطبع أشفق كبار رجالات العائلة على «البنت» التي كان مبكرا عليها أن تصاب بلوثة عقلية تستدعي أن يمتثل الجميع لأمر طبيبها. حين جاءت سيارة النقل كي تنقل اللوح الرخامي من مدخل العمارة كدت أن أتعثر في فرحتي. وحين أنزلوه أمام المقبرة وبدأ العمال في تركيبه، ارتفعت قليلا عن الأرض. لكن اللحظة الفاصلة/الطامة كانت حين انتهى العمال وناداني أبي للرحيل. حينها فقط أخبرته أنه لن يمكني أن أذهب وأتركني مكتوبة على اللوح الرخاميّ، وأنه يجب أن أظل معي هنا. في البداية لم يفهم أبي ما أقول واعتقد أنها نوبة جنون أو أني أقصد بكلامي أني أريد أن أبقى قليلًا. لكن حين أخبرته أني : هفضَل هِنا. أُسقط في يده وانتفخت أوداجه وكاد أن يعصف بي أمام التُربي وحارس المقابر والعمال. وحين أصررت شتمني به وتركني ومضى. حين جلست على الأرض أشاهد نفسي مكتوبة على الشاهد انتابتني نوبة بكاء هيستيري. بكاء غريب، لم أجرّبه

من قبل ولا يمكنني تعريفه. لكنه كان حلو المذاق. وأحبته روحي جدًا. في المساء -تحديدًا بعد آذان المغرب- حين رفعت بصعوبة شديدة غطاء العين اليمنى للمقبرة وبدأت في تحسس درجات السلّم تحت قدمي لم أخف. بالعكس، كنت أشعر بطمأنينة يبرّرُها وجود هذا الشاهد العظيم ودفء هذه الكلمات. ليلتها نمت لأول مرة منذ أبد نومًا عميقًا، وحين لم أستيقظ في الصباح لم أهتم !.

صوت

بالأمس مات جارنا الشيخ. لم يكن هَرِمَاً لهذه الدرجة. لكني لم أسمع له صوتًا منذ ماتت زوجته من ست سنوات. كثيرًا ما صادَفته وهو يُمسك حفيده بيدٍ وذاهب لقضاء الحاجات معه. فقد عادت ابنته الصغرى بطفلٍ من رحلة زواجٍ غير موفقة بعد رحيل أمها لتُقاسمه الشقة. وتبرعت هي بأن يملأ صوتها -المرتفع جدا- المكان، عوضًا عن صوت أمها الراحلة وعن صوت أبيها الذي صار يكتفي بهز الرأس كلما قابلني في المصعد على عكس ما كان عليه قبل وفاة الحاجة «بسيمة». بالأمس مات. تقول أمي أنه كان مريضًا منذ فترة. لم أسمع صوت قرآن ينبعث من شقتهم التي تعلونا بـ دور واحد. فقط أسمع صوت أحفاده الذين جاءوا مع أمهم -ابنته الكبرى- وأبيهم -ابنه الوحيد- للمكوث في الشقة خلال أيام العزاء الثلاثة وهم يلعبون على السلم. الأطفال لا يتوقفون عن الغناء واللعب على السلم بمرحٍ طفوليّ أكاد أتبينّه. لم يصل لهم الحزن ولا فاجعة رحيل الجَد. هل لأنهم يعيشون بعيدًا عنه؟. أم لأنه كان مريضًا وكانوا يتوقعون ذلك؟. أم لأنهم نَسيوا صوته كما نسيه هُو بعد رحيل زوجته فلم يفتقدوا شيئًا؟.

لا أعلم لكنّي لا أشعر بأية حزن في الأجواء ولا حتى أحزان الرحيل، ربما لأنه رحَلَ سابقًا برحيل زوجَته.. ربما.

وليد

يقترب في وجل. أرفع رأسي عن هاتفي وأقيّمه بنظراتي ثم أعود مرة أخرى لمتابعة «الهاشتاج» الأخير على تويتر. يتوجه بالكلام لصديقتي. يسألها أن تمنحه جنيهًا واحدًا كي يشتري علبة كشري. أنفث دخان الشيشة في اتجاهه وأسأله هل يكفي الجنيه الواحد لشراء علبة كشري؟. من أين ذلك؟. يتعلثم خجلًا ويحاول أن يبتسم وهو يريني جنيهين آخرين معه وأن واحدًا آخر هو الذي ينقصه لتكملة ثمن الكشري.

أهز رأسي في عدم اهتمام وأعود لما كنت أفعل. تسأله صديقتي عن اسمه وتعرض عليه عرضًا آخر: سأمنحك خمسة جنيهات نظير عمل ستقوم به، لا صدقة مني!. سأعطيك فوطة صفراء لتمسح لي السيارة. أرفع رأسي فأجد وجهه وقد تهلل بالفرح. أهز رأسي في سخرية وأعود للهاشتاج.

تنهض صديقتي معه لتُريه السيارة وتُخرج له الفوطة الصفراء من شنطتها. تعود، لأبدأ في تقريعها: أنا فعلا لا أستطيع فهمك. يمر عليكِ يوميًا هذه الأشكال وبالرغم من ذلك لا تتعلمين أبدًا.

أنتِ وأمثالك السبب الأول في ازدياد عدد المتسولين في شوارع العاصمة.

تخبرني أني لا أستطيع أبدًا التفرقة بين هؤلاء الذين يمتهنون التسول وبين هؤلاء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.. أهز رأسي وأقول: يكفي أنكِ الخبير !.

يعود لها بعد فترة ليعطيها الفوطة الصفراء ويخبرها أن: خلاص طوّقت العربية! .

تمد يدها له بالخمسة جنيهات فيتحرج ويقول : أريد جنيهًا واحدًا. ترمقني هي بنظرة مشتعلة وتبتسم له وتخبره أن هذا كان الاتفاق.

يأخذها منها. ويشكرها بصوت خفيض ويمشي خطوات ثم يعود إليها. يسألها في صوت يكسوه حرج يبدو حقيقيًا إن كان لديها أخ وَلَد يمكنها أن تمنحه قطعة من ملابسه. حيث أن هذه الفانلة مهترئة تماما. أبدأ في الضحك الهستيري والتمتمة بـ : الأسطوانة المشروخة .

يشعر بحرج بالغ وتُصدم صديقتي من قولي فلا تنبس صاحبتي بكلمة واحدة. ينصرف فتناديه: وليد .. وليد.

تجري خلفُه وتطيّب خاطره وتتفق معه على موعد يجيء لها فيه في نفس المكان لتحمل له قطعة الملابس التي وعدته بها. تعود لي وتبدأ في إلقاء الموعظة. أراهنها أنه لن يحضر في الميعاد لأنه لم يكن يريد قطعة الملابس بل كان يعتقد أنها بسذاجتها -التي سبق وأن اختبرها- ستمنحه نقودًا ليشتري بها قطعة ملابس تستر عُريه الذي يستخدمه كَـزِيٍّ للعمل. ترفع حاجبًا وتخبرني في تحد أنه سيعود وأنها قبلت الرهان.

في اليوم التالي. نعود سويًا وننتظر. فلا يظهر. تمر الساعة التي كان قد حددها لها. ولا يجيء. أبدأ في السخرية منها وتبدأ هي في الدفاع عن نفسها. أضحك وأخبرها أني لن آخذ منها قيمة الرهان. غير أنه لم يعد مسموحًا لها أن تمنح أيًا من قطيع المتسولين نقودًا وهي معي. تُتَمتم هي : خَذلني وخانني حَدَسي!

أنتهي من حجر الشيشة وأسألها أن تقلّني إلى المنزل. حين همّت بتشغيل سيارتها. استوقفنا سائس المنطقة قائلا : استني يا أبلة هتأكد الأول إن محدش نايم تحت العربية. أحسن الصبح صحينا ع صويت وصراخ.. واحد من عيال الشوارع كان نايم تحت عربية من دول، جه صاحبها يدورها داس عليه كسر دماغه وعَلى ما الإسعاف جَت كان مات. أصلا واد غريب مش م المنطقة !

أبدأ في اللعن وسرد المصائب التي تجيء من وراء هؤلاء. يمد لنا السائس يده بعد أن نظر تحت السيارة. فأنقده ما أجده معي .. ونرحل.

تكبيرة إحرام

يتحشرج صوتها وتبدأ دموعها في الانهمـار، تُتمتم بالفاتحة ثم لا تلبث أن تتهاوى وتجلس على سجادة الصلاة لتبكي بكاءً مـرًا، تدق بيدها على الأرض وتردد في ألـم « لا يتهنـى ولا يشـوف فَـرْح أبدًا يـارب»..

في مشهد سابق ..

يدق جرس الباب. أهـرع لفتحه، يسألني الرجل الذي يمسك الدفتر عن السيدة ليـلى وجـدي.. أنـادي عليها، فتسوي من إسدال الصلاة -الذي كانت تهم بارتدائه لتُصلّي العصر- وتتجه نحو الباب، يسلمها الرجل قسيمة طلاق غيابية. تـُـذهل، وتوقع على الدفتر وهي مغيبة. تغلق الباب وراءه وتتسمر في مكانها. تأتي جدتي -أمها- لتستعلم عمن كان بالباب، تمرر لها يدًا بالقسيمـة وتتجه نحـو سجادة الصلاة وترفع يدها بتكبيرة الإحـرام.

حبيبة

حينما قلتُ لأمي أن الطبيبة ستخبرني المرة القادمة بجنس المولود أصرّتْ أن ترافقني وهذا ما كنتُ أخشاه. كانت ملامح وجهها تشي بكل مخاوفها، حتى أنها لم تستطع أن تقوم من مقعدها كي تراقب شاشة أشعة الموجات الصوتية مع زوجي، وحين نطقت الطبيبة بما كانت تخشاه أمي، نهرتها قائلة: لابد أنكِ مخطئة، دققي النظر مرة أخرى.ليضحك زوجي وهو يخبرها: لا مجال للشك، «بنت» تسر الناظرين.

رمقتني أمي بكل نظرات العتاب التي أعرفها وأعي ما تشير إليه وكأن لي من الأمر شيئًا ، ولم تستطع فرحة زوجي بالبنت -التي انتظرتْها عائلته طويلا وستجيء أخيراً- في تبديد وحشة أمي، وحين أخبرها أن: البنت نعمة، ردت في اقتضاب أن : من أشاعت هذا امرأة خائبة لم تُنجب إلا البنات، وأن من قال أن الصبيان يجلبن الفقر..؟!!

ليصمت زوجي ويتجنب فتح الحديث معها مرة أخرى، وإن كان لم يحاول أن يُخفض من فرحته من أجل خاطرها.

بعد خمسة أشهــر..

قبل أن أدخل لغرفة الولادة.. شاهدت أمي وهي تمسك بحبات سبحتها الصندل ذات التسع وتسعين حبّة وتحرك شفتيها بأدعية أعرف جيدًا أنها ليست من أجل خروجي سالمة، بل لعلّ الله -خلاف الظنون- يخلف ظن الجميع وجهاز أشعة الموجات الصوتية ويجيء المولود ذكرًا، ليمحو عنها التهمة التي عايرت بهـا جدتي أبي حين قالت له يوم أن علمت بقدومي: كان لابد وأن تجيء بنتًا فما الذي كنت أنتظره من زواجك من امرأة جاءت من سلسال لا يُنجب إلا البنـات!

ما بين مفعول المخدر ويقظة الألم أسمع ابنتي وهي تصرخ بكاءً كتمته طيلة خمسة شهور، منذ سمعت جدتها تتحدث عن خيبة من ينجبن البنـات وعن التهمة التي ستوصم بهـا للأبد بعد مجيء حفيدتها .. بنتًا.

أستفيق تماما بعد ثلاث ساعات، فأرى حماتي تحمل الطفلة وتبكي في فرح وتقول : جـاءت الـ «حبيبة» التي انتظرتُها طويلاً.. جاءت على حياة عيني.

أغص أنا بحزن أمي التي تقترب مني وتهمس في أذني: عِديني أن تجيئي لي بـ صبي يمحو أنكِ جئتِ من سلسال لا ينجب إلا البنــات.. عديني أن يجيء على حياة عيني.

فستان مشجّر

أحدّق في شاشة التلفزيون وأراقب ما تفعله البطلة. تفتح أمي باب الغرفة وتضع صينية الطعام وتخرج دون أن تحدّثني. تعلم أمي أنه لا يجب مقاطعتي وأنا أشاهد المسلسل. تفتح أمي الباب وتأخذ الصينية وتضع لي زجاجة المياه وتغطّيني وتغلق التلفزيون. أنتبه لما تفعل فتُخبرني أن: المسلسل خلص خلاص والتلفزيون شطّب. أهز رأسي وأسوّي وضعي وأستسلم للنوم الذي يغالبني منذ فترة طويلة ولا يستطيع أن يغلبني. تفتح أمي الباب وتوقظني، أسألها إن كان ميعاد المسلسل قد حان؟. لا تجيب وتطلب مني أن أرتدي ملابس الخروج. فنحن سنسافِر لأختي، حماتها توفت بالأمس. أهز كتفي وأخبرها أني لن أذهب. ففي آخر مرة خرجت من المنزل للذهاب إلى الطبيب، ذاعوا حلقة المسلسل ولم ينتظروا رجوعي. تحاول أمي معي فأبدأ في الصراخ والتشبث في السرير. تخرج وتعود وقد ارتدت ملابسها وفي يدها صينية الطعام. أنظر نحوها بعدم اكتراث وأعاود متابعة المسلسل. تربت على رأسي وتُخبرني أنها لن تغيب. الأكل في الثلاجة ويجب ألا أنسى أن آكل، وألا أحاول إشعال الموقد فقد فصلت الغاز. وأنها ستغلق عليّ

الباب من الخارج بالمفتاح وأن النسخة الأخرى في مكانها في الدرج الأول من دولاب ملابسها وأنه يجب عليّ ألا أغادر البيت. أهز رأسي وأنا أحدّق في شاشة التلفزيون. على الشاشة، تبدأ البطلة البدينة في صنع فساتين للهوانِم. فساتين مزركشة واسعة الذيل. تُخبر إحداهن أنها ما أن تلبِس هذا الفستان فإن «الكل هيتجنن عليكِ» ، تراودني الفكرة. أذهب لدولاب أمي، أبحث عن أي شيء مزركش. لا أجد غير عباءة بيتية تحمل نقوشًا مشجّرة. أبحث عن مقص القماش. أعود إلى غرفتي وأجلس على الأرض وأبدأ في قص العباءة وتحويلها لفستان سيجعل «الكل يتجننوا عليَّ». أبدا في وصل الأطراف ببعض، تجرح الإبرة أصبعي فأتوقف عن الخياطة وأبدأ في شبك الأجزاء معًا بدبابيس مشبَك. أنتهي من الفستان وأرتديه. ألاحظ أن أحد أطرافه أقصر من الطرف الأخر. لا أهتم «فالكل سيتجنن عليَّ» حين يرى فستان الهوانِم الذي أرتديه. أبحث في البيت عما يصلُح كـ قُبعة. أدخل غرفة أمي وأخْرج أحشاء الدولاب. فلا أجد شيئًا. أعود لغرفتي وألاحظ أن رأس الأباجورة يُشبه القبعات. أنزعها عن هيكلها وأضعها فوق رأسي. أثبّتها في شعري ببعض مشابِك الغسيل. أقف أمام نفسي في المرآة. أثني على مظهري الذي سيجعل «الكل يتجنن عليّ». أذهب مرة أخرى لغرفة أمي بحثا عن المفتاح. أخرج للشارع

الذي لم أعد أتذكر ملامحه. أخطو خطواتي الأولى في الحارة. أنتظر أن يراني الكُل ويتجنبوا عليّ. لكن الكل يبتعد عني ويتجنبني وينظرون لي بريبة ويتهامسون أيضًا فيما بينهم. أبدا بالصراخ عليهم. أسمع اسمي آتيًا من إحدى الشرفات. أرفع رأسي نحو الصوت، فأجد المرأة التي تناديني وهي تضرب على صدرها وتطلب مني الانتظار. تهبط وفي يدها عباءة سوداء. تبكي وهي تقول : خُدي استري نفسك يا سناء. إيه يا بنتي يا حبيبتي اللي أنتِ عاملاه ده؟. ده أنتِ كنتِ ست العاقلين. أصرخ فيها وأبعد يديها عني. تُجبرني على لِبس العباءة. أنزعها عنوة فتتمزق. يتجمّع حولنا المارة أشعر بالخوف. أبدأ بالصراخ وأمد يدي نحو الأرض لأقبض على الرمال وأقذفهم بها. تنشق الأرض عن شياطين صغار. يبدأون في الضحك مني والسخرية. ألطم أحدهم على وجهه، وأُخبره أني أجمل من أمه. يقذفني بحجر فيُصيب قدمي. يجري الشياطين نحوي فأهرب منهم. يبدأون في الغناء : المجنونة هِه هِه. المجنونة هِه هِه. أصرخ وأخبرهم أن أمهاتهم هن المجانين وأني أنا سِت العاقلين. ألتقط الحجارة لأقذفهم بها. فيطاردونني وهم يصرخون بأعلى صوت: المجنونة هِه هِه. أصعد إلى شقتنا وأنا أبكي. أكتشف أن الباب مغلق وأن المفتاح ليس معي. أطرق على الباب بشدة وكأن أبطال المسلسل سيخرجون من التلفزيون

ويفتحوا لي الباب. أبدأ في البكاء وأجلس أمام الباب المغلق وأنا أردد أني في الخارِج لا تذيعوا المسلسل. انتظروني !.

زلة قدم

أقف على حافة الرصيف. ألمح الحارة الضيقة التي لا تسمح إلا بمرور جسد سيارة واحدة. أراقب السيارت المارقة بعيني وأقيس المسافة التي تبعدهم عني وتبعدني عن طرف الرصيف الآخر الذي أصبو إليه.

لا تتواني السيارات عن الطيران فأقرر العبور بأقصى ما لدي من سرعة. أسمع آلة التنبيه الغاضبة حين أهمُ برفع قدمي على طرف الرصيف المرجو. للحظة ينتابني خاطر.. مالذي سيحدث لي إن اختل توازني الآن وأفلتت قدمي؟!

تسري الرعدة في جسدي وتهرب دمائي وآلة التنبيه لا تكف عن الزمجرة ثم أنتبه فجأة فأنفض عن رأسي هذا الخوف اللامبرّر. فأنا بالفعل قد سبق لي أن زلّت قدمي و.. مُـت.

خيانة مشروعة

أرسم بطرف حذائي دائرة على الأرض وأخفي رأسي عن عيونهن وأتظاهر بأني لستُ موجـودة لعلي أختفي عن الأنظار..

تنادي « المِيس» على اسمي فأرفع رأسي متضررة وتتجه إليّ الأنظار:

«هتشتركي في أنهي مجموعة من دول؟“.

أرد بثبات «مش هشترك مع حد، أنا هعمل لوحة لوحدي» .

تراجعني «المِيس» في أن ذلك سيحملني تكلفة اللوحة المدرسية بمفردي، في حين أن زميلاتي سيتحملن الخُمس فقط. أُعيد عليها كلماتي مرة أخرى : «مش هشترك مع حد، أنا هعمل لوحة لوحدي».

يعلو صوت الشريرة «دينا» من آخر الفصل وتخبر « المِيس» : أصلها يا «ميس» مش مصاحبة حد هنا .. هي أكيد عايزة تعمل اللوحة مع «باسم» صاحبها اللي راح فصل الصبيان .

أتمالك دموعي وأشيح بوجهي بعيدًا بينما يغرق الفصل في الضحك. تنهرهن «المِيس» ويعلو صوت الجرس معلنًا إنتهاء الحصة وبدء الفسحة.

أحمل ساندويتشاتي وأخرج من الفصل فتناديني «المِيس» وتطلب مني أن أختار مجموعة من المجموعات كي أنضم إليها وأن أخبرها باختياري بعد الفسحة.

أستند إلى السور وأبدأ في البحث عنه. حتى أراه في «الحوش» وهو يضحك ويلكز رفاقه الصبيان ويصطفون للعب الكرة . تمتلئ عيوني بالدموع وأنا أُشاهد خيانته لي. لقد اندمج مع زملائه الجدد ومن الواضح أنه قد نسيني تمامًا.

أبتلع دموعي وأعود للفصل. أرى «المِيس» وهي تجلس على مقعدها تعيد ترتيب الكراسات فأقف أمامها وأرفع رأسي قائلة بتصميم « أنا مش هشترك مع حد. أنا هعمل اللوحة لوحدي».

نسوا كما نَسي

خرج متأنقًا مبتهجًا يرتدي بذلته الرمادية وقميصه الورديّ وحين رأى هذا الكمّ من عدسات التصوير والمراسلين الصحفيين.. سألهم: لماذا هذه الضجة؟!

لقد أخبروه أن اليوم هو عيد ميلاده الـسادس والثمانين، لكنهم نسوا أن يُخبروه من هو ولماذا يحتفي العالَم بيوم مولده.

روح اللعبة

تهادى إليها صوت الصغيرة وهي تحاول إقناع أبويها بما رأت. تُعلن لنفسها أنهن لابد وأن تتوخين الحذر أكثــر من ذلك. تسترق السمع من جديد وتكبح ابتسامة شفقة تُجاهد لكي تعلو شفتيها وهي تسمع الصغيرة تُقسم أنها رأت عرائسها تتحركن وتتحدثن عندمـا تلصصت عليهن من ثقب الباب. وأنهن توقفن عن الحديث عندمـا فاجأتهن ودخلت الغرفة. وأنها تتظاهر بالنوم كل ليلة لتشاهدهن ولكنها تغفــو قبل أن يبدأن الكلام.

تطمئن لأن الأبوين سينسبان رواية الصغيرة إلى خيالها الخصب ولن يخطر ببال أحدهما أنها هنـــا تقبع بداخل كل لعبة وأنهن تنتظرن دومــا غياب الجميع لكي تستطعن التنفس والحركة ومتابعة شئونهن الخاصة.

تدخل الطفلة وعيناها محتنقتان من أثر البكــاء. تقترب من دميتها الحبيبة وتهمهم بصوتها المختنق:

- مش إنتو بجد بتتكلموا ولا أنا كان بيتهيألي؟

تتألم وهي ترى نظرة الحزن في عيون الصغيرة وتسمع رنة الألم في صوتها الحبيب. ولكنها لا تملك أن تمنحها ما تُطَمْئِن به قلبها ويعيد إليها الثقة في حواسها دون الرجوع إلى باقي الدُمى والعرائس. تحتضنها الصغيرة وهي تُهمهم من بين جفون أثقلها التعب:

- طب كلميني وقولي إن مكانش بيتهيألي وأنا مش هقول لحد خالص.

تتأكد من ذهاب الطفلة في نوم عميق. تقوم لتبث جزءً من روحها، روح اللعبة، في كل الدمى المترامية في الغرفة.. وتسألهن :

- هاااا رأيكم إيه؟ هيا صعبت عليا أوي.. وإنتو عارفين هيا بتحبنا أد إيه.

- أنا مش عارف.. بس حاولوا تسيبوا العواطف على جنب واحكموا بالمنطق... لو الموضوع ده اتعرف هنتحول لحيوانات أليفة.

- ممممم هو فعلا عنده حق.. بس فكرة إنها عرفت ومحدش مصدقها ده هيتسبب في إنها تفقد الثقة بنفسها ودي حاجة إحنا

منرضهاش ليها.

- ده غير إنها بتحبنا أووي وإحنا كمان بنحبها.

-ده علشان إنتو عرايس وهيا بتلعب معاكم طول اليوم.. لكن أنا كـ (براد شاي) هي مش بتفتكرني غير فين وفين.

- يا سلام أومال أنـــا بقى أقول إيييه..؟ هيا فرحت بيا أول يومين بس وبعدين نسيتني خالص.

- وبعدين مش ذنبنـــا إنها تلصصت علينـــــا .. هيا اللي عملت كده في نفسها.

- ياريت الكلام مياخدش الصورة دي.. إحنا مش بنصفّي حسابات هنـــا.. ويا كلنا نوافق يا مش هنكشفلها السر... وهششششش علشان صحيت.

ترفع رأسها وتنظر إليهن في ريب:

- كنتم بتتكلموا مش كده؟ طب ليه مش عايزين تتكلموا معايا..؟ والله مش هقول لحـــد.

تترك الغرفة ولا تعود إليها إلا عند النوم.. ترمقهن بنظرة

عتـــاب وتندس بين الأغطية.. ويتهادي إلى روح اللعبة صوت بكائها المخنوق وهي تحاول حبسه.. يكاد قلبها أن يثب من مكانه وتتمنى لو أنها تستطيع فعـــل أي شيء.

العصفورة

حين رأت الخدش الطازج في رقبته لم ترد عليه السلام وعادت لمطبخها. الولد الذي كان يخشى العقاب، تبع خطواتها ليسألها عن نوع الطعام الذي أعدته. رمقته بنظرة غضب ولم تجب. الولد الذي كان يريد أن يتجنب الحديث، وضع يده على الخدش وبادرها قائلا: هو الذي بدأ يا أمي. الأم التي كانت تقطّع حبات الطماطم لم ترد عليه. الولد الذي بدأ في البكاء كي يستدر عطفها كان يعرف أن بإمكانها ألا تحدّثه يومًا وليلة دون أن تلين، لذا فإنه اقترب منها وظل يترجاها أن تكلّمه. لكن حين قالت في هدوء مميت: كيف لك أن تسبّ أمه بهذا الشكل؟. نزلت عليه صاعقة لم تخطر بباله واحْمَرّ وجهُه فزعًا وسألها ببراءة من أخبرك؟!. الأم التي كانت تُربي فيه ولدًا صالحًا، هزت كتفيها وأجابت بصدق: العصفورة. الولد الذي اتسعت عيونه دهشة، بكى ندمًا وهو يعلم الآن أن سبّته القبيحة قد طالت مسامع أمه. في الصباح التالي حين ذهب لزميله ليعتذر له اعتذرًا حقيقيًا، قرر أن يشتري «نِبلة» كي يؤلم تلك العصفورة التي نَقلت ماحدث لأمه.

لا أُطاق

ــ أنتِ لا تُطــاقين، وخـرج مغاضبًا.

شهقــت وتهاويت على أقرب مقعــد ولعنتك في سـري.

رأيتك في أحد الأركان تبتسم لتطيب خاطري فاندفعت أصرخ في وجهك :

ــ «أنت السبب في ذلك .. ملعونٌ أنت. كنت قبلك أعلم أني لا أُطـاق. دائمة الشكوى كمراهقة. متذمرة كعجـوز. متطلبة كطفلة. عنيـدة كبـغلة. عصبية وصعبة المراس وحادة المزاج. لكنــك تحملتني في تؤدة ورفق وتقبلتني كمـا أنـا.

«لم تسع يوما لتغييري وكنتُ طفلتك المدللة التي أفسدتها على النـاس.. حتى أني تناسيت وبقيتُ كما أنا لا أُطاق، فقط .. أنتظر من الآخرين أن يتقبلوني كما فعلت. ملعـونٌ أنـت.

«الآن فقط أعرف أنك تحملتني -لا حبًا في- ولكن لأنك تعلم أن لا أحـد بعدك سيتحملني. كنت تُفسدني من أجلك. وفي النهــاية

.. رَحـلْت».

تركْته بعد أن بهتت ابتسامته وبدأ طيفه في التلاشي ومضيت نحو غرفتي .. وغفوت، استيقظت عندما اقترب منــي وقبّل عنقي وحين همّ بالاعتذار، بادرته بابتسـامة وقلت: معك حق.. أنا لا أُطـاق، فقط اعمل دائمــا على تذكيري حتى أُطـاق.

سيناريو الغضب

أعود متأخرة. أجده في انتظاري. يبدأ شجارًا ليليًا متوقعـًا، مزاجي سيء، لا أحتمل صراخه. يعلو صوته فأرد بنغمـة أعلى.

يبدأ في سرد الموشح اليوميّ، أصلي كي يصمت فلا يُستجاب لي. أبدأ في الهجوم، لا يتراجع. أتفوه بما لا يمكنني أن أستعيده ثانيةً. يبهت ويسود صمتٌ مؤلم.

أتركه وأخرج إلى الشرفة. أُراجع نفسي في العودة والاعتذار منه. أعود للداخل فلا أجده. تأخذني العزة بالإثم. أبحث عن مفاتيحي وأطرق الباب خلفي وأرحل.

أظل طوال الطريق أعيد سيناريو الغضب وألقي باللوم عليه، هو من اختار توقيتًا سيئًا للجدال.كان لابد له أن يتوقف.

تفاجئني جلبة في آخر الطريق وزحام. يوقفني أحدهم ويخبرني أن حادثًا وقع منذ قليل يسد الطريق.

تهمسُ لي نفسي أن هذا الحادث نزل من السماء ولا يُمكن تفويته. سأتصل به لأبكي له وأخبره أني علقتُ الآن في حادثٍ على

الطريق فيهرع لي وتتلاشى الكلمات الموجعة التي خلّفتها ورائي. أبحث عن هاتفي وأطلب رقمه.. فلا يجيب.

زووم آوت..

تعود متأخرة. تجده في انتظارها. يبدآن شجارًا ليليًا متوقعـًا، مزاجها سيء وتوتره بادٍ للعيان، لا تحتمل صراخه. يعلو صوته فترد بنغمـة أعلى وأَحد. يـبدأ في سرد الموشح اليوميّ، تتلو صلاةً كي يصمت فلا يُستجاب لها. تباغته بالهجوم، فلا يتراجع. تـتفوه بما لا يمكنها أن تستعيده ثانيةً. يبهت ويسود صمتٌ مؤلم.

تتركه في الغرفة وتخرج للشرفة قليلاً علّ الهواء البارد يبتلع ما تفوهت به. تعود للداخل وقد منّت نفسها بالاعتذار منهُ فلا تجده. يزداد غضبها المستعر سلفًا وتأخذها العزة بالإثم وتتراجع عن قرار الاعتذار. تبحث عن المفاتيح وتصفق الباب خلفها بحدة جرحت سكون الليل المجروح آنفًا.

في طريقها لا تتوقف عن صب اللوم عليه وإعادة سيناريو الغضب. تفاجئها جلبة في آخر الطريق وزحام. يوقفها أحدهم ويخبرها أن حادثًا وقع منذ قليل يسد الطريق. ترفع رأسها الغاضب في محاولة للتلصص فلا ترى أحدًا. لا تهتم بالسؤال عن

حالة المصابين. لديها ما يكفي ويزيد.

تهمسُ لنفسها أن هذا الحادث نزل من السماء ولا يُمكن تفويته. فلتتصل به لتبكي وتخبره أنها علقت الآن في حادثٍ على الطريق. من المؤكد أنه سيجزع ويهرع من أجلها ، فتتلاشى الكلمات الموجعة التي خلّفتها معلّقة في غرفة المعيشة. يبدو الحل مثاليّ في تلك اللحظة. تبحث عن الهاتف وتطلب رقمه.. فلا يجيب.

في الزحام، يرفع أحدهم صوته ويقول: هاتفه يرن. يلتقط الهاتف وينظر للجميع. إنهـا زوجته من تتصل.

عقد قران

عندمـا عَرفَتْ بمحض الصدفة أن الليلة عقـد قرانه..

انتظرتْ حتى تمام الساعة الثامنة مساءً ومن ثم توجهـتْ إلى قاعة المناسبات بمسجـد «العزيز»..
ولجتْ بين الحضور ولم تلتفت لأحـد منهم حتى توقفت أمامه مباشرة.

رفع يده عن القسيمة بعد أن انتهى من وضع بصمته. وقبل أن يتقبل التهنئة من أقرب الجلوس إليه.. رفع نظره مباشرةً ليجدها أمـامه بحضورها الطاغي الذي لطالما عُرفت به، فلم يستطع أن يُحول نظره عنـها ونهض واقفًا ..

فلم تنبس هي بأي كلمة سـوى « طلّقنـي».

ثقبٌ يتسع

بادىء ذي بدء.. هذه هي رسالتي الأخيـرة إليك.

و لا يعني هذا أن ميعاد رجـوعي إلى «أمريكا» قد حـان، بل يعني أني -أخيرًا- سأتوقف عن المماطلة وإخفاء الحقائق وسأتحلى بالشجاعة الكاملة لأخبرك أني لن أستطيع العودة. وأن أمي -التي هرعت إلى «مصر» من أجلها بعد أن علمتُ بمرضهـا وظللتُ طيلة سنتين أتحجج بعدم قدرتي على تركهـا وحيدة والعودة إلى حيث أغريتك باللحاق بي- .. ماتت.

ماتت منذ أكثر من عام ونصف وأنا أخفيتُ عنك ذلك خوفًا من أن تُطالبني بالعودة.

أكتب إليك اليوم .. لأخبرك أني لن أستطيع أن أترك أمي بمفردهـا مرة أخرى. واعلم أني لم أماطلك طوال هذه الفترة عن قصد، بل كنت أعتقد أني بعد فترة سأستطيع العودة، ولم أستطع أن أسألك الرجوع إلى هنـا وقد كنتُ أنا من أغراك ودفعك إلى اللحاق بي.

أعتــذر منــك وثق أني لم ولن أسامح نفسي على فعلتي هذه ولكني لا أستطيع هجر أمي وهي الآن تحتـاج إلي وجودي بجوارها أكثر من ذي قبل. تحتاج إليّ كـي أخفف عنها وحشتهـا. كن بخيــر وسـامحنـي.

.

.

لماذا لا أشعر بالتحرر بالرغم من أن رسالتها هذه قد أزاحت عبئًا ثقيلا عن كاهلي وأنقذتني من ورطة كنت واقعًا فيهـا لا محالة لو أنها قررت العودة.

و لماذا أشعـر الآن بثقب كبير في روحـي يتسع ويتسع ..؟

أسرح بناظري بعيدا فلا أشعر إلا ويد «سارة» توضع على كتفي .. أهم بغلق الرسالة ثم أتراجع لأنها لا تفهم العربية، تُخبرني أن ميعاد القراءة لـ «يوسف» قد حـان. أبتسم لها وأنهض معهـا ثم ألتفت للرسالة المفتوحة بخجل وكأني أخشى أن تراني عبرهــا .. فتعرف.

حيلة مجربة

أمد يدي لا إراديًا إلى القلادة التي تسكن عنقي وأنا أتابع في فضول محاولاتها المستميتة لإقناع الصغيرة أن اليوم سينقضي سريعًا وأنها ستستمتع كثيرًا بتكوين صداقات جديدة وتعلم أشياءً لم تكن تعلم عنها شيئًا. ترفع عينيها لي وتردد مبتسمة «أول يوم حضانة بقى، وإنتي عارفة»، أومئ لها برأسي وأُثبت نظري على الصغيرة التي ترفض التوقف عن البكاء وتزداد تشبثًا بساق أمها.

أهم أن أُخبرها عن حيلة مُجربة ومضمونة النتائج. تقتضي بأن تخلع قلادتها وتُثبتها في عنق الصغيرة وتوشوشها في أذنها بأن هذه «حتة من ماما» ستظل معكِ طوال اليوم فلا حاجة بعدها للبكاء، ثم أتوقف فجأة لأني تذكرت أن هذه الحيلة لم تُهدّئ إلّا من روع الصغيرة التي لم تَعُد «أمها» بعد انتهاء اليوم الدراسي.

روح

كان من المنطقي أن تهرع أمي نحو الشرفة كي تبحث عن هذا الذي يتتبعني. وكان بديهيًا أيضًا أن تضرب على صدرها وتبدأ في الحوقلة والبسملة حين أخبرتها أن من يتتبع خطواتي هو روح وأنها طيبة. وكان عاديًا أن تظن أن بي مسًا وتهرع بي نحو شيخ ضرير كي يقرأ عليّ بعض آيات القرآن ليصرف عني مس الشيطان. لكن ما بدا لي غير مبرر هو ارتيابها مني ومراقبتها لي، وتعجبها من عدم فزعي وخوفي من تتبع هذه الروح -التي أزعم أنها طيبة- لي. لا تعرف أمي أن هذا الأمر بدأ تحديدًا منذ شهرين. وأني لم أرَ هذه الروح رأي العين. فقط كنتُ أرى طيفها خلفي في المرآة وأشعر بأنفاسها خلفي على الوسادة، حتى كشفَتْ عن تواجدها بما لا يدع مجالا للشك وأمسكت ذراعي -بالأمس- حين تعثرت وكدتُ أن أسقط على وجهي. في الأصل أنا لم أُخبر أمي كي تراقبني كممسوسة وتضبط المذياع على موجة إذاعة القرآن الكريم ليل نهار. بل اضطررت لإخبارها لأني أشك في أن هذه الروح هي روح إيزيس ربة الحماية، والتي يُهيأ لي أني كنتها في تقمص سابِق. ولأني أريد أن أتواصل معها وألا يتوقف تواجدها

في حياتي على تتبع الخطوات والملازمة. تتهمني أمي بالخرف والسفسطة حين أحدّثها عن تناسخ الأرواح والحيوات السابقة، وطلبت مني مرة أن أردد الشهادة لأني خرجتُ -برأيها- من الملة حين أخبرتها أني -أيضًا- كنتُ ربةً للحماية في حياة فائتة. لذلك حين أخبرها الشيخ الضرير أن هذه الروح قد تكون قرينتي من الجن. لم أُجادلهما وأشرح لهما أن القرناء يكونون على العكس منا تمامًا ولا يحبوننا نحن بني البشر، بل يعادوننا إذا ما سيّرنا حيواتنا بما لا يتناسب معهم وأرغمناهم على أمرٍ لا يريدون. لكن فكرة القرين كانت ملاذًا أحتمي إليه من اتهام أمي لي بالجنون أو الكفر. ولكني في تلك الليلة وحين وضعت رأسي على الوسادة. بدأت في محادثتها. أخبرتها أني أريد أن أتعرف إليها. وهل تمت بصلة فعلا لـ إيزيس، أم أني أسديُت لها معروفًا في حياةٍ سابقة فأتت كي تُعيده لي؟. لكني غفوت دون أن أسمع منها ردًا. في الصباح وأنا أُصحح كراسات البنات وجدت إحداهن قد كتبت في الصفحة الأخيرة أن :

أَنا حوارُ الحالمين ، عَزَفْتُ

عن جَسَدي وعن نفسي لأُكْمِلَ

رحلتي الأولى إلى المعنى ، فأَحْرَقَني

و غاب. أَنا الغيابُ. أَنا السماويُّ

الطريدُ .

وقتها استدرت لأجدها بجواري وأظن أنها ابتسمت لي. في المساء، بحثتُ في النت عمن يستطيع التواصل مع الأرواح. وبعد عدة محاولات فاشلة، وصلت في النهاية لإحداهن. ذهبت للست «شُكران» التي كنتُ أظنها ستُشبه الغجريات بوشمٍ في أسفل ذقنها وتنورة ملوّنة وواسعة وقرط طارة يتدلى من أُذنها. لكنها كانت على العكس تمامًا. ما إن سلّمت عليّ حتى نظرت خلفي ونطقت باسمي -و الذي لم أكن قد أخبرتها به بعد- وحين تعجبتُ، أخبرتني أنها ترحب بها لا بي.

أُسقط في يدي حينها .. فكيف للروح أن تحمل اسمي لا اسم إيزيس ؟!!. جلستُ على المائدة في مواجهة الست «شُكران»، فبدأت في استحضار مشهد مؤلم كنتُ من كثرة ما دفنته قد نسيته وادّعيت أنه لم يحدث لي. فاحْمَرّ وجهي وشعرت بالضيق. فأخبرتني أن الروح هي التي تريد لي أن أتذكّر هذه التفاصيل البعيدة المنسيّة. لأن ميعاد عودتها من حيثُ جاءت قد اقترب.

في الحقيقة زادتني هذه الزيارة حيرة ولم أفهم شيئًا. لكن حين اختفت الروح وتوقفت عن تتبعي. ذهبت مرة أخرى لـ «شكران» كي أسألها. لكنها رفضت أن تشي بما أخبرتها به الروح، حفاظًا على سمعتها وسط الأرواح. لكنها شددت على أن هذه التفاصيل المنسية والتي كانت قد أخرجَتها من صندوق باندورا خاصتي ستؤثر في مجرى حياتي. الغريب أن الروح اختفت كما لو أنها لم تكن، ولولا أني سبق وأخبرتُ أمي وزرت الست «شُكران" لكنت ظننت مع مرور السنوات أنها مجرد هلوسة أو حلم ظننته واقِعاً.

حين تجسدت الروح في هذه الليلة لم أتعجب. فموت ابنتي كان الحدث الذي حاولَت منعُه حين تجلّت في المرة الأولى لي. لم تكن روحًا كما ظننت. كنتُ أنا الآتية من الغيب. أحمل على كاهلي ثُقل ما سيحدث وأُريد أن أمنعه.

سر أبيه

تندفع نحوي باكية وهي تضع يدها على بطنها الممتلئة بحبي وتشير لي بشيء في يدها وتقول : الكارت الذي يعمل «المفعوص» ابنك على صنعه منذ أسبوع، ليس لي!

لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك وأنا أعتدل في الفراش واضعًا الكتاب الذي كنت أقرأ فيه جانبًا وآخذًا منها الكارت: أولهذا السبب تبكين؟

تمسح دموعها وهي تقول: لست أنا من تبكي.. إنها هرمونات الحمل واسأل أي طبيب.

أقرأ الكلمات الكبيرة المليئة بالأخطاء وأنظر لها مندهشًا وأسألها: هل قرأتي ما كتبه «المفعوص» ابنك؟

تهز كتفيها وتبتسم لي وتقول: يسير على دربك.

أضحك مما تشير إليه وأقول: ولكني لم أكن في الصف الأول الابتدائي ولم أطلب منك أن تنتظري حتى أكبر قليلاً وتطول

قامتي.!

تهمهم ضاحكة وهي تقبل خدي: لكنه كأبيه وقع في حب معلمته.

أرفع حاجبًا معترضًا وأقول: أنا كنت في البكالوريوس وأنت كنت تكبرينني بثلاثة أعوام فقط.. هل لا تجدين -حقا- في كلمات «المفعوص» ابنك أية مشكلة!

تضحك وهي تغالب دموعها مرة أخرى: مشكلتي الوحيدة أن هذا الكارت الذي تعب عليه.. ليس لي.

أضحك وأقول: يا الله.. النساء هن النساء.

فتخرج لي لسانها وتقول: نعم النساء هن النســاء.. ولكن يبقى الولد ســرَّ أبيه !.

لعنـــة

لا أحد يعرف على وجه الدقة التفاصيل التي تسببت في اللعنة، فالكل يحمل رواية مغايرة تمامًا لرواية الآخرين، ويظل يقسم أن ما يحكيه هو.. عين الحقيقة.

و لأن اللعنة وأمـرهـا أكبر من السبب الذي دفع بالساحرة لأن تصنعها.. فقد تناسى الناس السبب واختلفوا فيه وانشغلوا عنه.

تحكي الأنباء أنه منذ ما يقارب ربع قرن بالزيادة أو النقص. استيقظ أهل القرية على صوت صراخ ينبعث من كوخ الساحرة فعــلموا أن ميقات وضعها قد حان.. فأوجسوا خيفة وقام منهم من قام ليقيم الصلوات عسى الله أن يُهون عليهم ما هو آت.

أمــا البعض الآخـر فقد ظل ينعي حظه الذي ساقه للعيش في هذه القرية التي لم يكفها أن تُبلى -دونــا عن غيرهـا- بساحرة حتى أتتهم بأخرى صغيرة ستحول طفولة أبنائهم بألعابها السحرية التي ستتفنن في ممارستها عليهم، إلى جحيم.

أمـا ذوو الألباب من أهل القرية فقد أشفقوا على تلك الصغيرة التي -حتما- سترميها أمهـا باللعنـة عقابا لهـا على خطيئة ارتكبتها هي -وأضاعوا هم تفاصيلها- ولم تستمع فيها إلى نصح الكُهـّـان ورَمت نجومهم بالكذب.. وغضت الطرف عما رأته في البلورة السحرية... لتجيء الطفلة ثمرة لهذه الغفلة.

وحين توقف الصراخ سمع من أصغى السمع -حينها- صوت الساحرة الأم وهي تُتمتم من بين الوجع بكلمات اللعنة التي كانت قد عملت عليها لشهورٍ طـوال.. حتى إذا ما حان الوقت،، ألقتها على طفلتها الوليدة.

وبالرغم من أن خبر اللعنة قد انتشر بسرعة البرق إلا أن أحدهم لم يجرؤ -ولا حتى بعد مرور ٢٥ سنة- على ترديد كلمـاتها.. ربما خوفًا من أن تطولهم وربما أملاً في أن تُنسى فيذهب مفعولها.

جـل ما قالوه -عن اللعنة والساحرة- أنها حكمت بهـا على صغيرتهـا بأن تتجرع ما هو أمَرُّ من الكأس الذي ذاقته.. وأن يهيم بها من كان الهيام صنعته.. وأن يفتتن بها ذوو الألباب حتى تسلبهم العقول.. وأن يشتهيها من زهـدوا في الدنيا فتمنعهم الدنـيا والآخرة.. وأن تظل أبيّة متمنعة لا تُدنسها خطيئة ولا

يعلق بثوبهـا رجل..

وأن تنتظر هذا الذي سيقض مضجعهـا ويؤرق ليلها ويخلب لبّها ويبيع من أجلها الدنيا وما فيها ليشتري وصلها وقربها، حتى إذا ما تمّ، انتقص. وإذا ما اقترب واندمج، تباعد وافترق. وترك في القلب جرحًا أعظم من أن يندمل وفي الروح غمامة أكبر من أن تنجلي وفي الوجه عبوسًا أشدُ من أن يتلاشى وأن يسلب العينين ضيًّا كان يشع منهما ليأسر ذوي العقول الراجحة.

فتصبح بذلك لعنة كل من رآها.. ويُصبح هو لعنتها الأبدية التي لا تُحَلّ إلا... بموتها لا موته.

وتحكي الأنباء أن اللعنة ظلت لسنوات كامنة.. حتى إذا ما اشتد عود الصغيرة وتفتحت براعم القلب.. وتركت يد الأنوثة عليها بصماتها.. استيقظت اللعنة وبدأت في حصد القلوب والعقول وامتدت لكل من وقع بصره عليهـا أو استمع لها أو تعامل معها ولو من وراء حجـاب.. وأن الصغيرة التي كانت تعلم بأمـر اللعنة.. أشفقت كثيرا على من حولهـا فاحتجبت في بيتهـا وامتنعت عن النـاس.. حتى إذا ما أضنتها الوحدة وأوجعها القلب بالبحث عمن تحب خرجت لتهيم على وجهها في

الفلوات.. بحثًا عنه وهي تعلم أنه مُتلفها.. ولكن لا مفر.

يحكي أهل القرية ممن شهدوا قصة اللعن منذ البداية أن كثيرًا منهم حاولوا قتلها رحمة بهـا وإشفاقًا عليها.. ولكنهم ما إن عزموا العزم وأعدوا العُدة وقصدوهـا من أجل تخليصها وتخليصهم مما هم فيه.. تسمّروا أمام وداعتها ومَسّ حبُّها قلوبَهم فعادوا مضجرين بدماء قلوبهم التي سالت أمام عينيها.

وأنها حين قصدت كاهن الجبل ليضع لمأساتها حدًا.. أخبرها أن أمها كانت قد احتفظت بكل الشر والكُره وصبّته في تلك اللعنة فلا يستطيع أحد السحرة ومهما بلغ من القوة والعلم أن يحل اللعنة.. وأن هذه اللعنة هي ما يُطلق عليها في عُرف السحرة.. لعنة أبدية.

تؤكد الأنباء.. أن الفتاة حكمت على نفسها بالابتعاد عن الناس -خوفًا عليهم ورحمة بهم- بأن تعيش في قلب الجبل الذي يُشرف على القرية.. وأنهم يسمعون كل ليلة نحيبها وهي تدعو أن تنفك اللعنة ولو بموتها.. وأنها إذا ما أثقلها الوجع.. خرجت للبحث عن الحبيب الذي سيُتلف قلبها ويحيي فيها نوازع شر تلعن بسببه صغيرة أخرى قد تحملها منه.

وأنهم يتحصنون في بيوتهم تلك الليلة خوفًا من أن يصاب رجالهم بسهم عينيها فيسلبهم العقل و... القلب.

آثـار جانبية

يُعدّل من وضع نظارته الطبية وتتسع ابتسامته لتشملني وهو يقول لي: عزيزتي ليس في الأمر ما يُقلق. كل ما تتحدثين عنه طبيعيٌ جدًا، إنها الأعراض الجانبية الملازمة لمضاد الاكتئاب الذي وصفته لكِ منذ أسبوعين.

أتنفس الصعداء وأبتسم له فها هو يخبرني أن هناك سببًا علميًّا لحالة اللامبالاة والخفة التي تعتريني، وأنها ليست الراحة التي يُقال أنها تشمل بعض الأرواح الطيّبة لفترة معينة قبل ميعاد رحيلها..

أمد يدي لأصافحه بحرارة وأرحل. في الطريق إلى بيتي أتذكر أمرًا هامًا كنت قد غفلت عنه ولم أُخبره به اليوم..

أنا لم أصرف قَط وصفته الطبية هذه، ولم أتعاطى هذا العقار الذي أعاني آثاره الجانبية الآن! .

مترو

(1)

العجوز التي وضعت قدمها في اللحظة الأخيرة قبل أن ينغلق الباب، ظلت لدقيقة تجول بعيونها في الجالسات علّ واحدة منهن تقرر أن تقوم وتُجلسها. الفتاة التي كانت تشاهد الموقف ظلت تهز رأسها من كل هؤلاء اللواتي لم يقرأن التعليمات ولم ينهضن ولو اشفاقًا على سنها وركبتيها اللتين لا شك متضررتان. الفتاة التي ظلّت تجول بعينيها وتتأفف، حتى جاءت محطة العجوز وغادرت، لم تلتفت إلى أنها هي الأخرى كانت جالسة.

(2)

الولد الذي كان يبيع الحلوى، كان يتذوقها. ففي كل صباح، كان يأخذ البضاعة ويجلس بها في إحدى المداخِل ويُنقص حبّة من كل عبوة. الولد الذي كان يضع الحبّات المنتقصة في جيبُه كان يأكل منها ويمنح زملاءه الآخرين ويسير متراقصًا. السيدة التي اشترت منه بالأمس قررت أن تمنحه العبوة، لكنّه رفض وأخرج من جيبه

حفنة وأراها لها. الولد الذي كان يسير مَرحًا، كان يطلب من الرُكّاب أن يشتروا الحلوى كي لا يُفسدوا عيد ميلاده، فهو يريد أن ينهي عمله ويخرج ليحتفل.

(3)

السيدة التي طلبت مني أن أنهض كي تجلس فتاة تحمل طفلا كانت تبتسم في ود. السيدة التي ظلّت تلاعب الولد كنتُ أظنّها جدته حتى سألت أمّه عن اسمه. السيدة التي ظلت ترجوه أن يبتسم لها، أخبرَته أنه إنْ فعل، فإن «السما هَتنطّر» فضحك الولد. السيدة التي ظلّت تحذرنا من «النَطَرة» كانت تتحدث كخبير أرصاد جوية وليست كـ جدة وجدت في طفل صغير على يد أمه غايتها المفقودة التي تهفو إليها.

(4)

البائعة التي كانت تندس بيننا لتختفي كانت تُثير في نفسي الريبة، فأحكمت يدي على حقيبتي. البائعة التي طلبت من إحدى الفتيات أن تحمل عنها «ستاند» الأساور والعقود، أخرجت هاتفها وحذّرت زميلة لها من أن محطة «العتبة» بها رجال المباحث. البائعة التي غاب الدم عن وجهها حين توقفت العربة

وصعد فيها رجال المباحث، جذبتها من يدها وخبأتها عن عيونهم خلفي. البائعة التي تنفست الصعداء حين غادر القطار المحطة، ظلّت تردد لي وهي تنادي على بضاعتها: «يُسترك».

(5)

الشيخ الضرير الذي يقف في النفق المؤدي لرصيف المحطة ممسكًا في يده عبوات المناديل دون أن يتوسل المارة بكلماته، كان يدعو لكل من يشتري منه، دعوة صادقة. الشيخ الضرير الذي ظل يدعو فترة طويلة بعد أن أنقده أحدهم نظير عبوة مناديل عملة ورقية لا جنيهًا فضيًا، لم ولن يعلم أبدًا أنها كانت فتاة ترتدي حذاءً رياضيًا لا يُحدث صوتًا فهُيأ له أنه رجل، فأرسل دعوته السماء بصيغة المذكر.

(6)

البنت التي كانت تنظر للسلم العالي وللحقيبة الثقيلة التي تجاورها، لم يخطر في بالها أبدًا أن يجيء أحدهم في سُكّات ويحملها عنها ويصعد بها الدرجات. البنت التي ظلت تُخبره أن: لا شكرا، ربّنا يعزك، كانت عيونها تمتلىء بالدموع وهي تصعد خلفه. البنت التي استلمت منه حقيبتها في الناحية الأخرى من

رصيف المحطة، ظلّت تبكي طوال الطريق لأنها استلمت رسالة الرب الذي كان يريد أن يُخبرها أن كل دَيْن لابُد له وأن يُرد، في سُكات.

(7)

الشيخ الذي سأل الفتاة عن اتجاه محطة المترو، كان ينظر في عينيها وهو يحدّثها فلم تعلم أنه ضرير. الشيخ الذي مَد عصاهُ أمامه، لم يُبدِ أي تمنع من أن تمد الفتاة يدها لتتأبط ذراعُه بالرغم من لحيته الكثة وعلامة الصلاة التي تُنير وجهه. الفتاة التي ظلّت تُخبره بخط سير الطريق، -سنتجه يمينًا، سنهبط عشرة درجات، سنعبر البوابات الإلكترونية، سنتوقف لنركب عربة القطار- كانت ممتنة لهذه المصادفة الطيّبة. الفتاة التي كانت تُناديه يا «أبي» كانت تبدو أنها ابنته بالفِعل. الفتاة التي رَكبت معه في العربة المُختلطة، سألته عن وَجْهته، وحين أخبرها أنها محطة «محمد نجيب»، قررت أن تُبدّل معه الخط وتترك طريقها لتوصلّه. الشيخ الآخر -ذي اللحية- الذي سَمِع الحديث مصادفًة، ابتسم لها ومد يده كي يتأبط ذراع الشيخ الأول ويبتسم في خفر أنه سيُكمل الطريق معه لأن «محمد نجيب» وَجْهته. الشيخ الذي تركَتْهُ ليمضي مع رفيقٍ آخر، استدار لها حين جاورته على الرصيف ونظر

في عينيها بعينيه المضيئتين وأخبرها أن: تِوصلي سالمة يا ابنتي، فالتبس الأمر على الواقفين وظنّوها -حقيقةً- ابنته.

قطار فائت

ديسمبـر ١٩٩٠:

أُخبـرها عمـا قالته مدرسة اللغة العربية حين سألتها عن فرضية الحجـاب. يحتد صوتهـا وإن لم ترتفع نبرته وهي تخبرني أنها ليست معترضة على ذلك.. فقط ترى أن هذا ليس وقته. تتركني وتتجه إلى غرفتهـا، ألحق بهـا وأسألها عن الوقت المناسب الذي يسمح بارتدائي الحجـاب. تبتلع غضبهـا وتُخفض من صوتها وتخبرني في هدوء أن ذلك لن يحدث إلا بعد أن أتزوج. أبدأ في البكاء وأنا أردد أني لم أعد طفلة وأني سألتحق بالجامعة بعد عـام.. ترد عليّ بأنها لم ترتديه إلا بعد أن أنجبتني بسنوات، وأن ارتدائي له سيقلل من فرصتي في الزواج، وأن هذه المناقشة قد انتهـت.

أبـريل ٢٠١٠:

أقرأ الفاتحة.. وأجلس عند حافة القبـر، أضع رأسي على الضريح وأسألهـا -ما لم أجرؤ أن أسألها عنه لسنـوات طوال- لماذا فاتني

القطـار الذي خشيتي أن أُضيّعه إذا ما ارتديت الحجاب، بالرغم من أني رضخت وأذعنت؟!.

الصغيرة

في الصباح وهي تشكو من رغبتها العارمة في عدم الذهاب لمقابلة المشرف على أطروحتها العلمية. حاولت ابتلاع الدمع الذي يجري حارًا في عينيها. نظرت في الساعة ووجدت أن الوقت مبكرٌ جدًا كي تتصل بأمها -**كانت تبعد عن المنزل بمسافة ١٢٣ كم**- وتُخبرها باكية أنها لا ترغب في الذهاب للمدرسة. -**هي لم تعد طفلة وليس هناك مدرسة يجب عليها الذهاب إليها، هي فقط تستخدم نفس التعبير الذي كانت تستخدمه حين كانت طفلة صغيرة**-. حاولت أن تبحث عن أية وسيلة تخفّف بها الثقل الذي يقبع على روحها. ولكن يظهر في المشهد طفلة صغيرة ترفع شعرها على هيئة ذيل حصان -**هذه الصورة ربما تكون مشوشة وذيل الحصان مصطنع أو ربما يأتي من صورة أخرى اختلطت في ذهنها**- وتداهمها نوبة بكاء لا سبب لها، تجعل الـ مِيس التي تقرأ على الأطفال في الحضانة آيات من «سورة الليل» وتطلب منهم أن يرددوا وراءها في أصوات متناغمة- **بعد مرور سنوات كثيرة حين ستسمع «سورة الليل» تتُلى بصوت جوقة طفولية ستنتابها رغبة عارمة في بكاء لا تعرف له سببًا وكأنها لازالت**

نفس الطفلة ولكننا لن نحكي عن هذا الآن-، أن تُوقِف القراءة وتسألها عمّا حدث؟. وحين لا تجد جوابًا. تطلب منها الذهاب كي تغسل وجهها. يتوالى هذا المشهد بصورة يومية وتقريبًا في حوالي الساعة الـ ١١ صباحًا -**لسنا متأكدين هُنا من تكرار الأمر يوميًا فهذا الموقف لم يؤرخ**-. في إحدى المساءات تقترح عليها أمّها عدم نزع القرط الجديد والسلسلة الصغيرة التي تتوافَق معه وأن تذهب بهما للحضانة في اليوم التالي- **الأم فعلت ذلك ربما لأنهم عادوا متأخرين ليلًا ولم تجد لديها الرغبة/الطاقة في نزع القرط والسلسلة عن الصغيرة فأجلّتها لليوم التالي**- حينها ابتسمت الصغيرة وقالت لها: نَعم، فربما تمنعني السلسلة الصغيرة التي أحبّها من البكاء غدًا. يربد وجه الأم وهي تسمع اعتراف الصغيرة بالبكاء شبه اليوميّ. وحين تسألها عن السبب في ذلك. تهز الصغيرة كتفيها وتُخبرها أنها فجأة تجد نفسها مدفوعة ببكاء غير مبرر ولا تستطيع منعه. تشرد الأم وتترك السلسلة للصغيرة. في اليوم التالي، حين فاجأتها نوبة البكاء. ضغطت على أسنانها ومدت يدها نحو السلسلة الصغيرة وكأنها تميمة ستدفع عنها الدموع. لكن الدموع لم تبتعد وإن كانت غيّرت مسارها وعادت للتجمع في الحلق. الأمر الذي دفع الصغيرة لابتلاعها- **هذا سيُفسر قدرة الصغيرة فيما بعد على ابتلاع الدمع الأمر الذي تسبب لها ذات مرة في**

شرقة كادت أن تودي بحياتها لكن لا مجال هنا لهذا الحديث-. في آخر اليوم حين عادت الصغيرة سألتها أمها هل بكَت أم أن السلسلة نجحت في دفع البكاء بعيدًا؟. حينها ابتسمت الصغيرة وعرفت أن السلسلة تميمة سحرية ولم تهاجمها نوبات البكاء فيما بعد **-بعد فترة لا تذكرها الصغيرة. تذهب مع أمّها وجدتها لزيارة بعض الأقارب وحين تُثني هذه القريبة على السلسلة التي تُزين رقبة الصغيرة وتسأل من أين اشتروها كي تشتري مثلها لابنتها الصغيرة أيضًا، ستطلب الأم من الصغيرة بسريّة أن تنزع السلسلة وتمنحها لابنة القريبة وتعدها أن تعوّضها بشيءٍ آخر. الصغيرة ستنزع السلسلة وتمنحها للصغيرة الأخرى وحين تحلف أم الصغيرة الأخرى أنهم لن يأخدوها ستتنفس الصغيرة الصعداء لأنها ستحتفظ بسلسلتها. لكن الأم ستصرّ -ربما خافت من أن يصيب ابنتها مكروه بعدما نظرَت القريبة لابنتها في السلسلة، لا نعلم- أن تمنح السلسلة للصغيرة ابنة القريبة.** في الأيام التالية عادت نوبات البكاء وكأنها لم تختف. بالرغم من أن الأم أعطت للصغيرة سلسلة أخرى كانت لأختها الأصغر. لم تُخبر صغيرتنا الأم والأم لم تسأل اعتقادًا منها أن السلسلة الأخرى كان لها نفس عمل السلسلة التي ذهبت. **مالذي يجعلنا نذكر هذه الحادثة الآن؟. آه. أن الصغيرة التي صارت كبيرة اليوم فاجأتها نوبة**

البكاء واعترتها رغبة عارمة في ألا تذهب إلى المدرسة -أشرنا سابقًا إلى أن المدرسة هنا ليست مدرسة فعلا ولكنها استعارة- وحين ظهر في المشهد صورة للصغيرة ذات ذيل الحصان. امتدت أصابعها تلقائيا نحو رقبتها لتجدها عارية تماما فتجد نوبة البكاء تلك مناسبة لها فتُهاجمها بضراوة. تعود الصغيرة -**التي زاد عمرها عن الصغيرة التي كنا نحكي عنها بحوالي ٢٤ سنة-** في آخر اليوم إلى البيت- **بعدما ذهبت مُجبرة إلى المدرسة التي ليست في الأصل مدرسة وعادت بخفي حنين وغصة-** وهي تشعر أن البكاء الذي انسكب نصفه فقط فوق خدّيها، لم يتجمع نصفه الآخر في حلقها. وإنما ذهب ناحية الشمال وتجمّع تحت عظمة الترقوة وربما كان في طريقه نحو أوردة الكتف الشمال، الذي يؤلمها الآن بشدة ويعتريها فيه تنميل غريب.

استيقاظ محبب

أكبح جماح نفسي حتى أنتهي من المقطع الذي أقرأه. أحمل هاتفي الخلويّ وأتسلل من سريري إلى الخارج. أطلب الرقم الوحيد الذي أعلم أنه سيُجيب في هذه الساعة المتأخرة جدا من الليل/ الباكرة جدًا من الصباح. يرد عليّ بصوتِ ناعِس لم ينظر أبدًا إلى رقم المتصل وبرغم ذلك يعلمه علم اليقين:

- نَعَم يا مجنونة. هاتِ ما عندك.

أُخبره أن: مقطع صُغيّر والله.

يرد بأن: كاذبة. ابدأي القراءة.

أقرأ عليه المقطع الذي يتألف من ٤٠٠ كلمة على الأقل. يوقفني في وسط القراءة ليُناقشني، يجادلني. أو ليطلب مني أن أرفع صوتي قليلًا وأعيد جملة أعجبته. أنتهي من الحكي وأنا أتنهد. يبتسم لي صوته ويسألني إن كنتُ سأنام أم ينتظر مني مكالمة أخرى بعد قليل؟. أضحك منه قائلة له: أنا أُحبُّك أكثر منه، ذكّرني لماذا لم أتزوجك؟. يُجيب بعفوية من ردد الإجابة ألف ألف

مرة: لأني حينها ما كنتُ لأستيقظ أبدا لأستمع إليكِ !.

سيارة حديثة حمراء

أقف في إشارة المرور بمحاذاة أحدهم. ألتفت نحوه فأراه يبتسم ابتسامة صفراء أعرفها. أرفع الزجاج وأتلهى برفع صوت الكاسيت. تتحول الإشارة إلى الأخضر، أسرع في سيري كي أتفادى تعليقًا سمجًا أعرف ما سَيجُرّه عليّ.

أصل إلى بيتي. أركن السيارة وأخرج منها لأتحسس الجانب المنبعج. أطيّب خاطرها بالربت عليها وأصعد.

أسأل أمي لماذا لم نشتري «لوزة» زرقاء اللون، فتعقد حاجبيها وتسألني : حتى لا تظهر عليها الكدمات؟

أضحك وأقول : لا.. درءً للعيــن، تضحك هي وتقول وماذا فعلت تميمتك الزرقاء المعلقة في المرآة؟! لا تضعي هذه الأشياء في بالك واتركيها لله.

أخبرها أني سأبحث عمن يكتب لي على ظهرها.. «الحلوة عليها أقساط». تضحك أمي وتردد : والله مجنونة وتفعليها.

أستيقظ متأخرة عن موعدي ربع ساعة، ألومها لأنها تركتني «أرتاح شوية». أسألها وأنا أهبط السلم جري «ما معنى الراحة؟».

أصل متأخرة خمس دقائق عن موعدي، لكن «شذى» لم تكن تنتظر في الشارع. أحمد الله وأبدأ في تنفس الصعداء والضغط على آلة التنبيه كي تسرع في النزول.

في طريق العودة، أقف في إشارة المرور بجوار سيارة أجرة. أبتسم للسائق في مودة، فيشيح برأسه وهو يشير بيده ويتمتم بكلام لا أسمعه وإن كنتُ أعرف ما يتضمنه.

تبدأ سيارة أجرة خلفي في الضغط على آلة التنبيه دون أن يهتم أن من يقفون أمامي لم يتحرك منهم أحدٌ بعد، أنظر إليه في المرآة وأشير إلى الصف أمامي وأسأله وأنا أشير بيدي «أعمل إيه..؟ أطير يعني؟!» .

يتدخل السائق الذي يحاذيني ويقول لي بصوتٍ جهوري «هو كَفَر يعني لما زمّر؟ الراجل عايز يروّح.. ورديته خلصت خلاص وعنده الشغل الصبح.. مكانش نازل يتفسح بالعربية زي حضرتك».

أشتعل غضبًا وما أن أفتح فمي لأرد، حتى يتحرك الصف ويمضي هو.

أكتم غيظي وأغلق زجاجي. وأتحرك لأوسّع الطريق لمن خلفي. أصل في موعدي برغم الزحام الخانق، أهبط من السيارة وأفتح الشنطة وأنادي البواب وأطلب منه أن يصعد بهذه الأشياء لـ «مدام فاطمة» في الدور الخامس.

في طريق عودتي للمنزل ألمح سيارة الأجرة التي كانت تحاذيني، أضغط على البنزين لألحق بها، أفتح زجاجي وأشير للسائق فينتبه لي. أخبره بصوتٍ مرتفع ، «على فكرة أنا مش نازلة بالعربية أتفسح زي ما إنت فاكر. أنـا بشتغل سوّاقة زيكم، الفرق بيني وبينكم إنكم عندكم ورديات، بس أنا بقى على أد ندهة أكون في الشارع عشان أوصل طلبات للبيوت وعيال للمدارس.. يعني إحنا زُمُــل، والحلوة برضه عليها أقســاط».

مـطر

ابتسـم وهو يرى قطرات المطر تنهمـر بشـدة على زجـاج السيارة ورآهـا تُخرج يديهـا من الشباك في محاولة منها لاصطياد حباته اللؤلؤيـة.. وقال لهـا «صاحبتك لاحسـة المغرفة*» فضحكت ضحكتها المميـزة وقالت له: وكذلك أنا، ومما لا شك فيه أنها ستمطـر يوم زفافي حتى وإن كان في أغسطس، والكل يعلم ذلك ويراهـن عليه. فباغتهـا بسؤال لم تكن تتوقعه وإن كانت تفهم مغزاه :

ـ طب والحل حضرتك.. هنعمل إيه؟

فابتسمت وقالت بـِخُبث : «سأطلب من المدعويين أن يرتدوا ملابس مضادة للمطر ولا تنس أن تُحضر أنت.. مظلّة».

---

* العروسة لاحسـة المغرفة: تعبير دارج في بعض البلاد الساحلية يقال عندما تُمطـر الدنيا في خطوبة/زفـاف إحداهن، كنـاية عن أنها تتذوق الطعـام أثناء طهيـه.

رائحة ثقيلة

عندمـا أظلمت الدنيا فجأة واهتزت عجلة القيادة تحت يد السائق.. لم أتخيل النجــاة للحظة واحدة، وربما -في الحقيقة- لم أكن أرغب فيهـا.

عندمــا رأيته في مركز إعـادة التأهيل وعرفني عليه الطبيب الذي يباشر حالتي.. استطعت أن أتعرف عليه بالرغم من الهالة الرمادية التي تحيط بي وترفض أن تنجلي، عندمـا اتكأ على عكازه وجلس مقابلا لي.. أخبرني أني لفتُ نظره وقت أن صعدت إلى الحافلة.. وأنه تمنى لو أن مقعدي كان بجواره كي يستطيع بدء حواره معي، ولم يكن يتخيل أن الحوار الذي كان يتمناه، سيحدث لاحقا في مركز لإعادة التأهيل بعد حادثة مروعة لم ينج منها سوانا.

أخبرته أني وقت الحادث أغمضت عيني وتمنيت أن أفقد الوعي.. خوفا من الألم وربما استسلامـًا وإغراءً للموت الذي يجوب الأنحــاء حاصدًا الأرواح قبل أن تجيء النجدة.

و أخبرته أني وبالرغم من خوفي الشديد من الموت في حادث سير إلا أني وقت الحادث تمنيتُ الموت.. فلا أشد على المرء من آلام تنهش جسده وهو مسجي لا حول له ولا قـوة .. يستمع لصوت الحشرجات وأنّات الآخرين.

و لأني -أيضا- كنت أعلم أني لن أعود أبدًا لما كنتُ عليه قبل الحادث.

نظر إلى ساقي المبتورة وربت على كفي قائلاً.. أن الحياة منحتني فرصـة أخـرى ويجب أن أغتنمهـا.. وأنه هنـا ليشد من أزري ويكن بجـواري في جلسات العلاج النفسي، فهو يعلم أنه لا يؤلم الجرح إلا من به ألـم.

تعجبت من هالة التفاؤل التي تحيط به وتوجه نظري بصورة لا إرادية إلى ساقيه الضائعتين.. فابتسم وأخبرني أنه لم يفقد الوعي أثناء الحادث وحتى لحظة وصوله إلى المشفى.. وأنه رأى الموت وهو يتجول في الأنحـاء وأنه عمل جاهدًا ليهرب منه وأنه نجح في هذا وغافله.. لذا فإنه سيحيا حتى وإن كانت هذه الحياة .. مقعـدة.

داومتُ على جلسات العلاج النفسي والطبيعي من أجل رفقته

-فقط- وربما لأنه الوحيد الذي يعلم عن مبلغ الضرر ولم يكن ليردد كلامًا أجوف كالذي يردده الأطباء أو الأهل الذين لا يعلمون شيئًا عن العجز والكوابيس الليلية ورائحة الدم وصوت الأنين و.. الألم.

و لما حان وقت رحيله عن المشفى.. كاد قلبي أن يتوقف، فوجوده معي هو ما يعطيني دفعة ورغبة في التمسك بهذه الحياة المفروضة عليّ.

حينها أخبروني أني وقعت في حبه.. فعقدت لهم الأيمان أن هذا لم يحدث، وأن تعلقي وارتباطي به ناتج عن كونه يعلم عما يجيش بصدري.. ويعرف عن تفاصيل تلك الكوابيس التي تلاحقني.. يعرف عن الحادث وعن الأشخاص الذين رأيناهم وهم يغمضون العيون بعد مناوشات مستميتة للنجاة من الموت. يعرف عن تلك الرائحة الثقيلة التي كانت تجثم على صدورنا فلا نستطيع دفعها ولا الهرب منها لتواجدها حولنا في كل مكان و.. لعجزنا.

عندما ترك لي رقم هاتفه كي أتحدث إليه وقتما أشاء.. أومأت برأسي وشددت بيدي الوحيدة على يديه وابتسمت.

لا أدري هل كان يجب أن أستجيب للعلاج كي أترك مكانًا لم يعد

هو فيه...؟ أم كان حريًا بي أنا أنعـزل في غرفتي بمنأى عن حياة لا أريدها وأرادتني -فقط- نكايةً بي.؟

لم أعد أواظب على حلقات العلاج الجماعية وصرتُ أتوق وبشدة للعودة إلى منزلي.. الذي لم يكن قد خطر ببالي منذ الحادث وكأني كنت أنأى بنفسي عن العودة إلى مكان يعرفني وسيتعرف بسهولة عما عُـدت بدونه.

صار المشفى ثقيلا وصارت ابتسامات الآخرين مزيفة لا تخلو من الشفقة.. بعد رحيله.

عدت إلى منزلي -الذي ظل على حاله وتغيرت أنا- وها أنا بعد ثلاثة أشهر مازلتُ حبيسة غرفتي المظلمة..

أستيقظ يوميًا وأنا أتمنى وبشدة أن أجد الشجاعة الكافية كي أخرج وأجلس في صالة منزلنـا أو أن أُضيء الأنـوار في غرفتي..

و أُمني نفسي أني ذات صباح سأعثر على القوة التي تمكنني من الاتصـال به لكي يحدثني عن تجربة الحيـاة خارج الجدران ويدفعني إليها -كعادته - دفعًا، دون أن يصبح همي الوحيد ألا تنفلت مني كلمة .. «أوحشـتـني».

بعيدا عن هناك

إلى/مُحمد

يدق على الباب. لا أحد يفتح. الجدة العجوز تجلس على الأريكة. تحدّثه بصوتٍ لا يسمعه أن ينتظر مجيء أحد من أخواله ليفتح له الباب من الخارج فهي لا تستطيع النهوض. يظل جالسًا أمام الباب. تقوم هي كي تتوضأ لصلاة العصر وتمرّ به لتُدخله. يجري نحو الصالة الكئيبة الإضاءة. يُفرغ حقيبة مدرسته المهترئة على الأرض. يُخرج قلما بدون غطاء ويبدأ في حل الواجبات. تعود العجوز كي تجلس في مكانها. يُخبرها بعد ١٠ دقائق أنه انتهى. تهز رأسها وتُخبره أن بإمكانه الآن الخروج للعب في الحارة وأن يعود عند الغروب حين يجيء جدّه بالطعام. يجمع أشياءه ويرحل. على ناصية الطريق يرى «سيّد» فيناديه ويجري في اتجاهه. يحاول الأخير أن يهرب منه. لكن «محمد» يعرف غايته.

ـ أنت أخبرتني أنك ستأخذني معك لتُثبت لي أنك لا تتسول في المترو.

ـ أنا لا أفعل يا محمد، تعالَ معي كي ترَ.

يقف وحيدًا على أحد الأرصفة بعدما ضيّعه «سيّد»، ينظر للأبلة الجالسة بجوار الأستاذ ويرمق ما بيدها من زجاجة مياه غازية. يناديه الأستاذ ليمنحه جنيهًا فضيًا. يُخبره أنه ليس متسولا، هو جاء مع «سيّد» وضيّعه. يضحك الأستاذ ويخبره أن يأخذ الجنيه كي يشتري تذكرة الرجوع فـ «سيّد» قد مضى في طريقه. يمد يده ويأخذه منه وتمد الأبلة يدها بزجاجة المياه الغازية. يسألها عما يفعل بها بعد أن يُنهيها. تُخبره أن يتخلص منها فهي بلاستيكية. يأخذها ويمضي متراقصًا. يعاود النظر لأقرانه الممسكين بأيدي آبائهم أو ذيول أمهاتهم. ينتقل من رصيف لرصيف. يلمح «سيّد» على الرصيف المقابل. يناديه، فيتواطأ «المترو» مع «سيّد» ليُخفيه عن الأنظار. يُنهي المياه الغازية ويقرر أن يتخلص من الزجاجة برميها على القضبان. تناديه هي من خلفه وتنهره. ينظر لها ويبتسم ويستمر في وقفته. تعود للنظر في الكتاب. يقترب منها، يسألها ماذا تقرأ؟. تُخبره بامتعاض: كتاب. يبدأ في تهجي الحروف. ترفع عيونها إليه. تتفحص هيأته التي تدل على أنه مُشرّد. تسأله هل يقرأ ويكتب. يجلس في المقعد الشاغر بجوارها وهو يهز رأسه. تُضيّق عينيها في ارتياب وتخرج ورقة وتبدأ في

اختباره. يُدهشها وينجح. تبتسم له وتسأله لماذا هو هنا؟. يُخبرها عن «سيّد». تعود للقراءة. يسألها عن اسمها. تتلفظه من أجله. يُضيّق عينيه ولا يستطيع أن يُعيده ورائها. تكتبه له في ورقة وتعطيه إياها. يعاود تهجئته مرة واثنتان فينجح في الخامسة. تبتسم له وتربت على شعره المتسخ. يسألها أن تكتب له اسمه بخطّها المنمق. تفعل. يزيد اسم أبيه وأمه وأخته الصغيرة. تسأله عنهم. فيُخبرها أنهم «هناك» في البلد، أما هو فيعيش مع جدّه وجدته وأخواله «هنا». تسأله متى أتى للقاهرة؟. يُخبرها أنه وُلِد هنا، وعاد أبواه دونه. يأخذ منها القلم ويعاود تقليد اسمه واسمها. تسأله باهتمام حقيقي، لماذا عادوا دونه؟!. يخبرها دون أن يرفع عينيه عن الورقة لأنهم في الأصل أتوا كي تلده أمّه بعيدًا عن «هناك». تندهش وتضع يدها على الورقة لينظر إليها. يرفع نظره مستفهمًا. فتسأله عن السبب. فيخبرها ببراءة منقطعة النظير: لأني مطلوب -بدلًا عن أبي- للثأر.

خوف

لتهرب من الأشباح، فتحت ضلفة الخَزانة الفارغة وولجت للداخل. في ظُلمة الخَزانة تجمّعت الأشباح وأحاطتها. الصغيرة التي كان قلبها يتآكل -حرفيًا- من الخوف، لم تفتح فاهها ولم تصرخ طالبةً النجدة.. لأنها خافت إن فعلت أن تبتلعها الأشباح. الصغيرة التي لم تطلب النجدة، ماتت من الخَوف.

رائحة البـن

أنتبه من نومي على رائحـة البن التي تتراقص في الأنحـاء.. أظن لوهلة أنك في المطبخ تعد لي قهوتي المضبوطة، أبتسم في ارتياح وأُغمض عيني.. ثم يجول في خاطري أنك أحضرت لي معك في طريق العودة.. بسبوسة.

و أنك الآن ستدخل عليّ حاملا قهوتي «السادة» وطبق صغير به قطعة بسبوسة من الحرف.. أتنهد بفرح وأُغمض عيني في نشوة، ثم أنتبه إلى أن «أوبشن» البسبوسة يبدو بعيد المنال نظرًا لتأخر الوقت.. أتنهد في رضا وأردد لنفسي، أن فنجان القهوة المضبوطة من يدك.. يكفي.

يداعبني الخاطر مرة أخــرى بأن قهوتي ستكون سادة، فأنت أحضرت لي معك.. نوعي المفضل من الشوكولاتة.

ترتعد خلاياي من الفرح. وأنهض من سريري لأتتبع رائحة البن.

أدخل المطبخ. أجدك واقفًا هناك وفي يدك طبق البسبوسة وقالب الشوكولاتة.. وعلامات الأسى على وجهك، فأصفع جبهتي

وأتذكر أن «البن» نفد مني وأنت بالخارج، ولم أُخبرك.

عودة

تفتح شباك البيت الذي تركته منذ عشرة أعوام لتطل منه على الحارة. تُلاحظ أن أشياء كثيرة تغيرت وأن ساكني الشقق المقابلة والمجاورة قد تبدلوا أو شاركهم فيها الأبناء مع زوجاتهم. تختلس نظرة إلى صورة أبويها المعلقة على الجدار وتبتسم قائلة: أنا رجعـت.

تفتح حقيبة السفر لتفرغ محتوياتها في الدولاب. الحقيبة ذاتها التي خرجت بها منذ عشرة أعـوام من بيت أبويها، تلك التي كانت تُهـون عليها الغـربة والمرار كلما نظرت إلى موضعها تحت السرير وهي تُمني نفسها بيومٍ ستحملها وهي خارجة من هذا المنزل الذي جاءته قبل عشـرة أعوام.

تـرفع شعرهـا عاليا وتُثبته بدبابيس وتبدأ في عملية التنظيف ومسح البلاط. وتبتسم لأنها اشتاقت لبلاط هذا البيت بالرغم من أن مسح البلاط لم ينقصها في غربتهـا. ترفع رأسها لترَ أباها واقفًا يرجوهـا ألا تقبل هذه الزيجة» وبلاش علشان خاطري.. خايف أمـوت وإنتي بعيدة وبعدين ده راجــل متجوز.. «لكنها

تُصر على الزواج من هذا العربيّ نكاية في الحبيب الذي هجرها «علشان قدامه كتير ومش عايز يظلمها» - وكأن هذا «الكتير» قد وُجد فجأة بعد ارتباط دام سنوات الكلية الأربع - ونكاية في القلب الذي كان يأمل في معجزة تُعيد الوصل.

تتنهد وهي تحمد الله للمرة المئة بعد الألف أنه أعقم رحمها فلم يُجدْ عليها بطفل من هذا الزوج. تتعجب من أنها لم تحلم في تلك السنين العجاف بنبتة خضراء تُهون عليها الجدب الذي تعيش فيه، خادمة بالنهار وجسدًا للمتعة في الليل.

تحمد الله مرة أخرى فما كانت المشرحة تنقصها رؤية طفلها وهو يُعامل معاملة العبد لأنه ابن الأَمة.. وابن الأخرى يُعامل معاملة ابن الحرة.

تنتهي من تطويق الشقة ومسح البلاط وإعادة الأثاث لموضعه، تخرج للجلوس في البلكونة منتظرة دق الباب في أي وقت بعد أن يصل خبر رجوعها إلى الإخوة وزوجاتِهن. يتسلسل إليها صوت «السِت» من داخل المقهى القابع في طرف الحارة ليشق الصمت الذي يلفها بعباءته. يـالله كم أوحشتها الكثير من الأشياء حين كانت نفسها تهفو للخلاص.

يجيء الإخوة كما توقعت بعد تسرب النبأ. مقابلة جافة خالية من المشاعر فهم لا يعوزهم همها. لا يحاول أحدهم التطرق إلى السنوات العشر الفائتة- فهم يعلمون أن ما أعانهم على الزواج هيَ نقودها الشهرية بغض النظر عما دُفع في مقابلها- ولكنهم يتطرقون بحذر لما تُخطط لفعله.. تعلن بهدوء أنها ستبدأ حياتها التي جمدتها حين قبلت الصفقة وستبحث عن عمل والحمد لله أن أباها نقل عقد الإيجار القديم باسمها. تبتسم زوجة الأخ الأكبر وهي تسألها «بداية إيه..؟ إوعي تكوني ناوية تشتغلي.. أكيد إنتي مش محتاجة للشغل ومعاكي اللي يعيشك معززة مكرمة». لتُبهت حين تنتبه أنه فات عن بالها حكاية الميراث هذه. وأنهم بالطبع لن يُصدقوا أنها عادت بالحقيبة التي غادرت بها هذا البيت قبل عشر سنوات، ولكن لا بأس فكما لم يشغلهم حالها طوال هذه الفترة فلتتركهم للظنون.

- ميراث ...!! أي ميراث هذه الذي تحدثت عنه زوجة أخيها وهل ترث الخادمة في مخدومها؟؟

تخرج للبحث عن عمل وعندما يسألها مدير شئون العاملين في إحدى المؤسسات عن خبراتها السابقة، تبتسم وتخبره أنها لا تملك ولم يسبق لها العمل من قبل، فينظر إلى الأوراق ويسألها

عن عمرها وسنة التخرج. تبتسم وتقول: الأوراق تُخبرك بأن عمري ٣٣ ولكني في الحقيقة ٢٣ سنـة. فهذه السنـوات العشـــر -التي أوقعتها من حسابي- لم أحيـها ولذا فلا يجـوز أن أجمعها إلى عمري.. وأظــن أن الله عــز وجـل لن يُحاسبني عليها، فهـو سيحاسبنا فقط على ما امتلكنـاه أمـا ما سُرق منـا فلن يسألنا عنه.

يبتســم الرجــل ويتمتم : «نظــرية». فترد هي ... «بــل يقيـــــن» !.

حضن

تعود من الخارج مكفهرة الوجه، تنوء بثقل أراهُ باديًا على كتفيها. تنظر لي فأعرف أنها تنتظر الوقت الملائم كي ترتكن إليّ وتحكي عما حدث. أنا أقرب الناس إليها، تلجأ لي دومًا كي تتخفف من ثقلها. تعرف أني لن أخذلها وسأستمع بصبر وتؤدة. لن أُقاطعها أو أؤنبها، لن أضيق ذرعًا بدموعها. تجيءُ أخيرًا، ترتكن لي وتبدأ في الحَكي. أستمع وأستمع دون أن أنبس ببنت شفة. تبكي، فأُقرّبها مني كي تدفن دموعها في صدري. تنتهي وقتما تنتهي، فأُبدد ما قالته وأُرسله بعيدًا في الهواء كي لا يقتحم رأسها ويعبث بأحلامها. تلف يدها حول خصري، فأُعطيها قُربًا ووصلًا لا يمكنُ غيرنا نحن «الوسائد» أن يمنحَه.

استحقاق

ربما كانت جدتي هي السبب. فهي التي اعتادت دومًا على أن تدعو لي بأن ينصفني الله نصْفَة يتعجب لها البشر. ربما هي من رسّخت في ذهن العالم أن إنصافي شيءٌ يستدعي الدهشة والعجب. وربما -أيضًا- كانت دعوتها هذه هي السبب الوحيد في كوني نشأت وأنا أعلم أني أستحق. وأني أهلّ للإنصاف.

كنت أتعامل مع الأمر وكأنه شيء مسلّم به. لم أكن أتحدث عن مدى أحقيتي في الاهتمام، والحب، والتدليل، والنجاح، فالأمر مفروغ منه. وكنت أعتقد أن الكل يعرف ذلك ولابد أن يعاملني من هذا المنطلق. من منطلق أني أستحق.

«ألبرت» كان أول من خذلني بعدما تشكل في وعيي حقيقة أني أستحق. لذلك كان رد فعلي قاسيا بعض الشيء. لكني كنت مضطرة لذلك، فهو من بدأ، وما فعلته كان رد فعل فقط. وكان لزامًا عليّ أن أتصرف حيال خيانته لي، وإلا سأكون بصمتي أعترف أني أستحق الخيانة.. الوجع.. الخذلان، ولن يكون «ألبرت» الأخير في قائمة الخائنين.

في البدء لم يرتابوا فيّ حين وجدوا جثته مسجاة في الصالة. لكن عدم بكائي وعدم اهتمامي وتعاملي مع الأمر بعادية مذهلة هو ما جعلهم يضيقون الخناق عليّ ويشكون في أمري. لكنهم في النهاية استبعدوا أن أكون متورطة في موته، فبعيدًا عن أن العنف ليس من طبعي ، هم يعلمون جيدًا مدى حبي له وتعلقي به. ربما ظنّوا أن ثباتي نوع من أنواع اضطراب ما بعد الصدمة، لذلك غضوا البصر عنه.

قد تعتقد أن «ألبرت» هو الخائن الوحيد الذي استحق العقاب. لكن القائمة تطول. قائمة الخذلان، الوجع، الاستهانة وفي المقابل.. العقاب. لن أُنكر أن إقدامي على قتل «ألبرت» سهّل علي الأمر فيما بعد. فخلال عشر سنوات لم أترك أحدًا خذلني أو أوجعني أو خانني ورأى أني لا أستحق، إلا ولقنته درسه وأعلمته أني أستحق. قائمتي تطول. بدءً من المُدرّسة التي عاملتني بعصبية وألقت في وجهي بالدفتر بعد أن تشاجرت مع زوجها في الهاتف، مرورًا بسائس الجراج الذي حاول أن يلمس جسدي ويقبلني بفمه كريه الرائحة، وعامل البوفيه الذي أحضر لي قهوتي بدون وش في مقابلة العمل فجعلني أصمم على التوظف في هذه الشركة فقط كي أتسبب في فصله فيما بعد عقابًا له على استهانته بي واهتمامه

المُلَاحَظ بمن يجري معي المقابلة. خطيبي السابق الذي ظن أنه يُمكن أن ينجو بفعلته حين ضبطته يبتسم لأخرى تجلس على طاولة مجاورة. أستاذ الجامعة الذي أقسم أن «يشيّل» القسم بأجمعه المادة ولم يرَ أني لا أستحق أن أُوضع مع الجميع في سلة واحدة وأني على عكسهم لا أستحق ذلك.

الوحيد الذي نجا من دائرة العقاب كان جدتي. كثيرًا ما خططت لمعاقبتها، لكني في اللحظة الأخيرة كنت أصفح عنها، فلولا دعوتها القميئة هذه ما كنتُ وعيت لكوني أستحق، وربما كنتُ أكملت حياتي بعادية لا تليق بي. لذلك حين أخبرتُك في مرتنا الأولى عن قطي الأثير «ألبرت»، وأني قتلته لأنه بدأ في التعلُق بغيري، كنت أظن أنك الوحيد الذي لن يخذلني أبدًا، لا خوفًا مني ولكن لأنك تؤمن فعلا أني لا أستحق ذلك.

لا أُخفيك سرًا أني ترددت كثيرا في قتلك. لا لأني أحبك. ولكن لأني لم أتورط من قبل في قتل بشر. «ألبرت» كان تجربة القتل الوحيدة التي مررت بها، وكنت أحتاجها فعلا كي أرسّخ في ذهني حقيقة أني لا أستحق ذلك. لكن كونك تعرف عن أني لا أتهاون أبدًا في حقيقة أني لا أستحق الخذلان -و برغم ذلك خذلتني وأوجعتني- جعل من قتلك أمرًا مفروغًا منه. كل ما أحتار فيه الآن، هل أخبر

من سيجيء بعدك بقائمة العقاب كي يأخذ حذره ولا يخدلني ولو عن غير قصد. أم أتوقف عن سرد قصة حياتي مادام الجميع لا يتعلمون؟.

أبيـض

إلى/ هبـة

أراقب أمي التي يكاد صبرها ينفد وأنا أنظر بعدم اقتناع في المرآة. تحاول البائعـة أن تخبرني عن جودة القماش وعن روعـة التصميم وتماشيه مع خطوط جسمي وملامح وجهــي. فأصدر أصواتًا وهمهمات تشي بعدم اقتناعي.

تنهض أمي وهي تصرخ في وجهي «أنتِ عارفة ده الفستان رقم كام اللي تقيسيه وما فيش حاجة عاجباكي؟».

أهز كتفي لا مبالية وأتمتم بمرح «لأ ماعرفش ومش مهـم. الفستان ده هلبسه مرة واحدة في العمر ولازم أكون مقتنعة بيه ١٠٠٪».

في الصباح التالي، كنت أرقد في آخر أبيض.. لم أختـره بنفسي ولم أتحقق من روعة تصميمه ولا جودة قماشه ولا ملاءمتـه لخطوط وجهــي.

عبور

تنتبه السيدة التي تقود السيارة من شرودها على يدي الصغيرة التي أشير بهـا لها كي أسألها أن أعبر الطريق. تتعجب قليلا لأن الإشارة حمراء، لكنها لا تلبث أن تبتسم لي وتهز رأسها، فأمنحها ابتسامة شكر.

ها أنا قد عبرت الطريق الأول بنجاح، يتبقى طريقان آخران حتى أصل إلى البيت سالـمًا، أتبع التعليمات التي ترددها أمي على أذني ليل نهار.

«لا تعبر الطريق قبل النظر يمينًا وشمالًا ..»

«إياك والعبور أثناء وقوف السيارات في الإشارة قبل استئذان قائدها.. فربما يتحول اللون من أحمر لأخضر فتتحرك السيارات وأنت تعبر..»

«لا تعبر متواريًا بجوار شخص كبير حتى يتمكن قائد السيارة من رؤيتك فيتمهل من أجلك..»

يضحك أصدقائي مني، لأني ألتزم بكلام أمي وتعليماتها ودائما ما يسخرون مني ويرددون أني أخشى السيارات وأني جبان..

أعود كل يوم متأخرًا عنهم، كما أنزل صباحًا قبلهم حتى لا أتأخر عن المدرسة بسبب اتباعي للتعليمات.

أصل إلى البيت فأجد الباب مفتوحًا ونساءً كثيرات يرتدين الأسود ويجلسن في صالة بيتنا، أترقب المشهد بتوجس وأبدأ في البحث عن أمي فلا تلتقطها عيوني. أهرع نحو المطبخ فأجد «خالتي» في وجهي تحضنني وتبدأ في البكاء.

تحدثني أني ولد كبير.. أعبر الطريق بمفردي وأربط حذائي وأكتب واجباتي فور دخولي من باب البيت ودائما ما أنهي الطعام الموجود في طبقي، أتلفت بعيوني بحثا عن أمي ولا أفهم لماذا تذكر «خالتي» محاسني..!

أتركها وأجري نحو غرفة أمي. فأجدها هي الأخرى ترتدي الأسود وتجلس على الأرض وتبكي بمرارة، أفرح لرؤيتها وأجري نحو حضنها وأبدأ في تقبيلها فلا تتوقف عن البكاء.

أسألها عن سر بكائها فتخبرني أني ولد كبير، فأقاطعها قائلا: أعبر

الطريق وأربط حذائي وأنهي طعامي.. نعم أعرف ذلك.

تبكي وهي تؤمّن على كلامي وتخبرني أن «أبي» لن يعود إلى البيت بعد الآن وأنه رحل إلى السماء ليستريح هناك.

أبدأ في البكاء وأنا أجلس في حضنها... وكل ما يدور ببالي هو: كيف لا يعرف أبي -وهو الأكبر مني- أن يعبر الطريق ويعود للبيت سالماً؟!.

ضحكة عالية

حين ضحكت معه ضحكتهـا العالية لأول مرة ولم يتلفت خلفه ولم يتمتم طالبًا منهـا أن تُخفض صوتهـا بل ابتسم ابتسامة حانية امتدت واتسعت لتشملهـا. حينها فقط -وبعد أن توقفت عن الضحك وملأت الدموع عينيها من فرط الانفعـال- عرفت أنها ستقع في غـرامه.

ارتقاء

إلى/ عم مصطفى

الكهل المصاب بعرجٍ دائم في إحدى قدميه أوقفها الأسبوع الفائت -في الطريق- ليسألها بحروفه المتآكلة : إزيّك يا سكر. الأمر الذي جعلها تبتسم ابتسامة واسعة لتشمله وتحبسها للحظاتٍ معدودة معه. كان بإمكانها أن تتجاهله وتمضي في طريقها مع زميلاتها من الباحثات، لكنّها لم تستطع. فالكهل الطيّب كان يحمل قدمه النائمة ويصعد بها ثلاثة طوابق في الصيف الفائت كي يجلس بكرسيه أمام معملها، فقط كي يؤنس من أجلها وحشة المكان. الكهل البشوش الذي كان يُقسم عليها في كل يوم يصعد فيه ليجلس أمام بابها أن تُجابر الزاد وأن تتقاسم معه اللقيمات التي يحملها، كان يتعجب من كونها لا تأكل الجبن ولا تحب العنب، لذا تراه كان يتحرج كلّما أخرجت له كوب شاي ويُخبرها: ده واجِب عليَّ يا بنت الحلال، كملّي شغلك وأنا أقف أعملّك لو أنتِ عاوزة. فرد الأمن الودود، الذي ظنّت سوءً فيه حين سار معها حتى باب المركز البحثيّ في أول مرة تعرف عليها فيها، اربد

وجهه حين أخرجت بضعا من نقود لتعطيه إياها وأخبرها: عيب يابنت الناس، ما تحرجنيش، مستورة. «عمّ مصطفى» الذي كان يجلس صامتًا يكاد ألا يتنفس حين يراها عكرة المزاج مرتبكة بسبب نتيجة لا تسير على هواها، كان أنيسها وملاكها الحارس طوال صيفٍ فائت. «عم مصطفى» الذي كان يتركها بمفردها كل «أحد» كي يغطّي زميله «جرجس» في أحد المباني الأخرى، كان يسألها بحنوٍ بالغ ألا تعمل بمفردها في هذا اليوم أو أن تنجز عملها في الفترة الصباحية وقبل انصراف الباحثين. الكهل الجميل كان يعبر الطريق أول أمس، قادِم والكل إلى ذهاب. وكعادته، كان يربت بيده اليسرى على قدمه النائمة وهو يبتسم للسيّارات حين أطاح به أعمى لم يرَ صفو ضحكته. يقول شهود العيان أن الكهل الملاك لم يسقط على الأرض برغم عنف الصدمة، وأنهم رأوا قدمه النائمة تستطيل حتى ساوت أختها السليمة، وأنه ظل يردد في وجل «الله أكبر» حين رأى نفسه محمولا في الهواء. الكهل الطيّب، كان فوق رؤوس الناس وهُم ينظرون إليه في دهشة وخوف ويرددون وارءه: الله أكبر. الكهل الأبيض القلب حين أدرك الكرامة التي نالها، ظلّ يمسح بيده على رؤوس الناس وهو يوزع عليهم أجزاءً من روحه النقيّة علّها تغسل ما في قلوبهم. «عمّ مصطفى» ظل يرتفع ويرتفع في السماء حتى ارتقى عن الأبصار،

وبلغت قلوب كل من شاهده.. الحناجِر.

موت يليق بي

أجلس بجـوار «هـدى» وأهدئ من روعهـا بكلمات جوفاء تعلم وأعلم أني لا أعنيـها. أرد النظرات المتعجبة بأخرى بـاردة وأبحث في حقيبتي عن علبة سجـائري. أهم بإشعال واحدة فيجيئني الصوت الذي أكرهه ليرحب في ودٍ زائف بـي، أتجاهل الرد وأمد إليها أطرافًا بـاردة.. فترتد لي أكثر برودة.

أربت على كتف «هـدى» وأنا أخبرها أن البكاء لا يعيد من ذهبوا وأن الدعـاء هو أفضل ما يمكن تقديمه لهم. فتتساءل الحرباء بصوتها الرفيع: أفهـم من ذلك أنك ستدعين لـ «ماما» بالرحمة. أجـز على أسنـاني وأنا أخبرها أن امتناعي عن الدعاء لن يمنع رحمة الله من النزول على من يشـاء، فليس لي -مهما أردت- من الأمـر شيء.

ـ مازلتِ تملكين نفس القلب الأسـود القديم !

ـ نعم.. الأسـود يليق بـي.

ـ بل الموت هو ما يليقُ بكِ.

ترفع «هـدى» حاجبها مندهشة مما تقوله زوجة أخيهـا وتسألها: «ما هذا الجنون الذي تقولينه؟». ترد عليها الحرباء: ألا تلاحظين أننا لا نراها إلا في المآتم.. «عمّي» العام الماضي وها هي «ماما» اليـوم.. والمصيبة أنها في كل مرة تزدادُ بهـاءً، كما لو أن مصائبنا تضفي عليها رونقًا. وكـأن الموت يليقُ بهـا.

أبتسم لها ابتسامة صفـراء ولا أهتم بنفي التهمـة، أطفئ سيجارتي وأنهض. أربت على كتف «هدى» فتقف. أحتضنها وأنا أتمتم بصدق: فليهون الله عليكي رحيلها ويرحمهـا، اصمدي وهاتفيني في أي وقت تشائين وستجدينني أمامك بعـدها.

تبتلع بكاءً مرًا وتهز رأسهـا وتكرر كلمات الشكر الجوفاء وتخبرني أنها لم تكن تنتظر مجيئي وأنها لم تكن لتلومني.. أبتسم لهـا وأهم بالرحيـل. تستوقفني الـحرباء وتمد لي أصابعها البـاردة وتتمتم: نرد لك الواجب عمـا قريب .. في الفـرح .

ألتقيه على السلم.. يمد لي يده ويشكرني على الحضور، تثير رؤيتي له مرارة جاهدت في التخلص منهـا، أرد عليه بصدق رغم برودة صوتي: كنت أتمنى أن تسبقهـا أنت فيمحو موتك أسباب العداوة بيننـا ولكنهـا رحلت قبلك، وها أنا أرجـو أن يكون

مجيئي القـادم.. من أجلك أنت.

مرارة مُغلّفة

أحب رائحة البن وأرتعد من مذاقه. عدتُ لتحليته بعدما توقف فترة لا بأس بها. فالدنيا مُرّة بما فيه الكفاية ولا تحتمل أي مرار زائد. أنظر لـ وِش القهوة وهو يتكون وأتسائل: لماذا يصعُب عليّ تضييعه، في حين أن الكثيرين يفعلون ذلك عن غير عمد أو رغبة. تفور القهوة وتغرق الموقد. أعود لأبحث عن الإناء الزجاجي لصنع تلقيمة جديدة. أكتشف أنه صار فارغًا. أربت على نفسي وأُخبرها أني سأمر بأي مقهى في طريقي للعمل وسأتوقف لاحتساء فنجان الصباح.

يُخبرني أحدهم وهو يمر بجواري أنه يا بخت من سينكحني -قالها بعامّية مهينة- فاستدرت وأخبرته بصوتٍ عال: أن الذي نكح أمّه -قلتها بعامّية أكثر بذاءة- ذكَر نَفس الأمر. يصاب الرجل بحالة من الصدمة وحين يستفيق يلاحظ الشرر الذي يتطاير من عيني فلا يقترب. يُخبرني أني لم أحصل على تربية جيدة -قالها بعامّية مهينة-، فأخبرته بصوتٍ مرتفع: بل أن السيدة أمّه التي كانت مشغولة الفِكر بمن يكون أباه -قلتها بعامية أشد إهانة-

هي التي لم تُربّيه. يقرر أن يدافع عن شرف أمّه الغائبة، أخلع حذائي لأضربه به على رأسه. والناس وقوف ما بين ذاهل أو فرِح بالمشاجرة. يقترب مني رجلٌ كهل ذو لحية. يشد ذراعي ويُخبرني أن كفى يا ابنتي، فقد أخذتِ حقك كاملًا ورددت الإهانة مضاعفة. أقرر أن أنفجّر فيه لكن عذوبة صوته ونظرته الداعمة توقفني. أسير بجوارِه حتى أول الطريق ثم نفترق. أمشي وحدي وأنا أُفكّر في أني لأول مرة لن أعود وأنا أحمل انتهاكًا لجسدي هذا اليوم. فأنا قد أسقطته عني حين رددت له الصاع صاعين وسببت أمّه.

يخبرني «مرعي» أن: «معلش يا أستاذة الوِش راح حين اصطدمت بأحدهم في الطريق إليك». أحدّق في وجهه وأمتنع عن إخباره أن هذه الخدعة لم تعد تنطلي إلا على أمه وأن عليه أن يشرب هذه القهوة لأني لن أسمح بعد اليوم أن يعتدي أحد -مهما كان- عليَّ. لكني أبتسم وأُخبره فقط أني لن أشربها يا «مرعي» ولن أُحاسِب عليها أيضًا. أنهض وأتركُه فاغر الفم لا يعرف عما دهى الأستاذة اللي كانت بنت حلال وطيّبة.

أشتري بنًا من إحدى المطاحن. أصعد لدار النشر التي أعمل فيها. أدلف إلى البوفيه وأبحث عن كنكة القهوة الكبيرة كي أضمن ألا تفور مني. تقترب «سماح» وتناديني من الشباك أن الأستاذ

عايز فنجان قهوة. أهز رأسي وأبدأ في وضع السكر. فالأستاذ الذي يتفنن في تمرير حيواتنا، يشرب قهوته زيادة.

كُتبت القصص التالية بديلًا عن..

الاستسلام أو الموت أو . . . الجنون

اعتداء

لا أعلم ما الذي عاد به من الجحيم. ولا أدري من قض مضجعه ونطق كلمة السر القادرة على منحه الحياة من جديد. لا أعرف من الذي فض ختم تابوته وأخرجه ليلًا ليسعى في نفسي فسادًا. خرج من الموت كأي ضبع قادر على التشكل والبعث من جديد. خرج ليلًا فهذه الكائنات لا تنشط إلا ليلًا. توافق خروجه من الجحيم مع ليلة قمرية. ربما هي لعنة سحرية قرأها أحدهم في مكانٍ ما فسمحت لعفريتي هذا أن يستيقظ من سباته ويسعى خلفي. أنا الجسد النائم الذي لم يحتط ليلًا ولم يخطر بباله أن الأشباح يمكن أن تعود وأن الأموات الذين تخلصنا منهم بحرق أجسادهم البالية وكل أشيائهم النتنة قادرون على أن يتشكلوا ثانيةً من رمادهم القميء. بحث عني ووجد في نفسي النائمة وجسدي المسجى غايته التي يبحث عنها. وطوال ليلة كاملة كان يتناوب الاعتداء عليّ. ينشب أنيابه الكريهة في رقبتي. يمتص دمي ويمنعني من الصراخ واستجداء النجدة. أصده بيدي وأدير وجهي كي لا أرى ابتسامته القبيحة التي تقتات من روحي فلا أستطيع إلى النجاة سبيلا. أشم رائحة أنفاسه اللزجة. أقبع في

دائرته. أتقلّب على جانبيّ علني أستيقظ فأنقذ ما تبقى من نفسي. أفتح عيني على اتساعها. يشدني من شعري ويعيدني مرة أخرى للظلام. أتوقف عن التنفس علّني أهرب بالموت من أنيابه. يتلذذ بوجعي. يترك آثاره على كل بوصة من جسدي وروحي. يهمس لي أن أمثاله لا يموتون وأنهم يحفظون طريقًا للرجوع. وأنه قادر على العودة وقتما يشاء ولن يمنعه عني شيء. بل ربما لن يمنعه موتي من البحث عني وإيجادي والاعتداء عليّ ولو كنت في جحور العفاريت الزرقاء. يكتفي مني فجأة -كما ظهر فجأة- ويرحل دون كلمة واحدة. أستيقظ أنا لألملم عظامي المتكسرة وروحي المبعثرة وأشلائي المنتهكة. أجد آثار الكدمات على جسدي كله. أجد أكبرها حجما وأكثرها زُرْقَةً في رقبتي. أهرع إليهن علهن يُهدئِن من روعي. تبدأ إحداهن في قراءة التعاويذ على رأسي. تربت أخرى على كتفي فأجزع من اللمسة. تخبرني أن لا بأس. فهو قد غادر ولن يعود قريبًا. أتمتم كالمجذوبة، لا لن يعود قريبا.. بل سينتظر أمدًا حتى أظن أني قد تخلصت منه، بعدها سيعـود. فأشباهه عادةً يعودون من الجحيم !.

عجز وقط أسود

متصلبة في فراشي لا أقوى على الحركة. أسمع هسيس أنفاسها وهي تقترب مني. أغمض عيني وأدّعي أني لا أراها. تبدأ في التجول حوليّ. أُتمتم صلواتي علّها تبتعد. تباغتني بنشب مخالبها في عيني. يبدأ الألم في نهش عيني. لا تتوقف. تستخدم مخلبها الحاد كشفرة وتمزق بطني بحثًا عن أمعائي. أبدأ في البكاء الصامت. تتحول دموعي لجرذان تنساب من عيني. لا أتقزز منهم. أظن لوهلة أن هذه القطة السوداء التي تغوص بكلتا يديها في بطني المبقورة بحثا عن أمعائي، ستتركني وتطارد الجرذان. لكنها لا تراهم. تبدأ الجرذان في لعق دمي. لا أستطيع أن أردّها -هي الأخرى- أو أمنعها. أعود للصلاة ولكنها تنحصر هذه المرة في أن ترى القطة الجرذان فتتلهى بهم عني. يتوقف الألم الذي كان ينهشني. أعتقد لوهلة أني قاربت على ترك هذا الجسد المبقور والسمو لأعلى. لكني لا أزال حبيسة، إذن أين ذهب الألم؟! . ترفع القطة السوداء رأسها عن أمعائي، ترى الجرذان وهي تلعق الدماء التي تسيل من عيني. تتقيأ ما سبق وأن التهمته من أمعائي. تتقيأه في بطني المبقورة. تتقزز لأن الجرذان شاركتها إياي. تستدير وترحل. أهمّ

بأن أنادي عليها لأسألها أن تبعد عني الجرذان. فلا يخرج صوتي. أعاود الصلاة. لا تغيب الجرذان. أنتظر حتى تمتلئ بطونها النتنة بدمي الطازج. تصاب بتخمة وتبدأ في السقوط على بطونها. تنام بجواري. أشعر أن جسدي قادر على الحركة. أبدأ في النهوض. أجمع بقايا أمعائي وأسند بيدي بطني المبقورة وأجر ساقيّ وأمضي. أظل أبحث عن تابوتي الأسود. لا أراه، فعيني مصابة. تصنع دمائي على الأرض خريطة تشي بي. أجد التابوت في آخر الغرفة. أتحامل على نفسي حتى أصل إليه. أجده مفتوحًا في انتظاري. أرفع ساقي الممزقة وأضعها فيه. أنجح في دخوله. أتعذب في إحكام غلقه من الداخل. أستوي ممددة بداخله. أبدأ في قراءة كل التعاويذ الطيبة التي سبق وأن علّمتني «نورا» إياها على أمل أن تلتئم جراحي من جراء نفسها. أتمتم صلواتي. أمتنع عن البكاء خوفًا من أن تتحول دموعي مرة أخرى لفئران. يتغشاني النعاس. أفكر في أن أستسلم للنوم. أشعر بسائل حار يبدأ في غمري. أهمّ برفع رأسي لأراه فأكتشف أن جسدي تصلّب من جديد وأني لا أقوى على الحركة. يرتفع السائل الحار اللزج -الذي أظنه الآن دمي- حتى يصل لفمي. أزم شفاي. يقترب من أنفي، يغمرها. أتوقف عن التنفس. أبدأ في التركيز على البقاء دون تنفس أكبر قدر ممكن علّ هذا السائل ينحسر عني. لكنه لا يفعل. تؤلمني رئتاي بشدة.

أشهق.. فأستيقظ من نومي !.

تحـوّر

يخبرني أنه سيكون معي فلا داعي للذعر. أخبره أني لا أجيد السباحة وأني أعاني -بشكل ما- من رهاب الماء. يخبرني أنه يجب أن أواجه ما أخشاه حتى أعرف حجم المشكلة وأنتصر عليها. أخبره أنها ليست حرب وأني راضية بكون الماء أحد أعظم مخاوفي. يضع يده على كتفي ويخبرني ألا أغضب منه أو أكرهه لما سيفعل. يبدأ الأدرينالين في التدفق فتزداد ضربات قلبي وتعتريني نوبة فزع. يبدأ في عقد الحبل حول يديّ. ابدأ في البكاء. يخبرني أن الدموع لن تشفع لي فهو يعرف مصلحتي أكثر مني ويجب أن أواجه ما أخشاه، وأن ربط يدي ما هو إلا وسيلة منه لتخفيف الأمر عليّ وعدم الانشغال بدفع وركل الماء وأنه سيكون بجواري. أعض على لساني كي لا أخبره أني لا أثق في تواجد أحد بجواري فالكل إلى زوال وأني أُفضّل التعامل مع كل شيء بمفردي. يدفعني نحو الحافة. أتلو صلواتي وأدعو أن تنشق المياه عن يابسة تحميني من ابتلاع الماء لي. أتخيّل معجزة موسى ويشطح خيالي وأعتقد لوهلة أنها قد تتجلى لي. أجول ببصري في الماء بحثا عن حوت يونس فابتلاعه لي سيكون أخف وطأً من المياه التي أكاد

أن أرى أنيابها رأي العين. يقترب مني يهمس في أذني أنا معكِ ثم يدفعني. أكتم أنفاسي وأغمض عيني وأظل أهبط لأسفل وأسفل وكأن القاع على بُعد ألف سنة شمسية. أسعى بكل جهدي أن أنفصل عن الواقع المرير وعن أن الماء/الجحيم يحيطني من كل جانب. أواصل السقوط وأنا أشعر أن هذه الثواني سنوات طويلة. فجأة أتوقف عن السقوط ولكن لا أصل. أفتح عيني فأكتشف أن الماء لا يؤلمني وأني أستطيع الرؤية من خلاله. أبدأ في الزفير وإخراج الهواء المحبوس في صدري. أبحث عنه فلا أجده في محيطي. فأتيقن أن قاعدة «الكل إلى رحيل» لا تحمل أي استثناء. يؤلمني صدري وأشعر أن قلبي يوشك على الانفجار. أبدأ في الشهيق والاستسلام لاسفكسيا الغرق، لأكتشف أن رئتاي تصعدان وتهبطان وأن فقاعات صغيرة تحيط برأسي. أتسمّر للحظة وأسأل نفسي هل هذه هي هلوسات الموت؟!. لأكتشف أني لست طافية ولستُ غارقة، بل أنا بين بين. بيدَ أني -الآن- أستطيع الرؤية عبر الماء وأمتلك خياشيم !.

اللارجـوع

أسير على الجسر الذي سبق وأن تركته بإرادتي. أندهش لاختلاف شكله عما سبق واختفاء العلامات التي كانت عليه. في منتصف الطريق أكتشف أن الجسر صار يؤدي لمكانٍ آخر غير الذي كنت أقصده. أقرر العودة للم شتات نفسي المبعثرة والتأكد منها إن كانت لا تزال تقصد المكان القديم، أم أن بإمكانها تجربة المكان الجديد. أختار العودة لأمنح نفسي الفرصة وأمنح من يلاقيني على الجسر فرصة أن يراجع نفسه. لكنه لا يرضيه قراري. يبدأ في مهاجمتي فلا أهتم. ينْصَبُّ اهتمامي كله على الخروج بأقل الخسائر والعودة إلى نقطة البداية ومغادرة هذا الجسر الذي يؤدي إلى مكانٍ لا أريد -الآن- أن أقصده. أتعثر في الطريق. يتزايد الهجوم. أمنع نفسي من الانخراط في الرد حتى لا يضيع مني طريق العودة. أعدّ للمئة تنازليًا حتى لا تعتريني نوبة غضب. لا يتوقف هو. يؤلمني بشدة، فأكتفي بالابتسام. أصرُّ على مغادرة هذا الجسر بأية صورة. أكرّس كل طاقة الغضب للنجاة وعدم الانزلاق في مناوشات الطريق. يضيّق عليّ الطريق ويهددني بإحراق الجسر وأنه يجب أن أتخذ قراري الآن. لا أرد وأمضي في طريقي. يُخبرني

أن الجسر لن يكون موجودًا إذا ما راجعت نفسي وقررت عبوره مرة أخرى. أتسمّر للحظة. أقيس المسافة التي قطعتها وأقيس طاقتي وهل ستكفيني للعودة في حالة إذا ما طاوعته وأهدرت جزءً منها في الكلام. لا يعجبه هدوئي يبدأ في سكب البنزين على الأرض. يهددني بإحراقه. أمضي في طريقي. ينفذ وعيده. أجري. تحاصرني ألسنة اللهب من كل جانب. أتوقف للحظة وأرمقه بابتسامة لا يعي معناها. تقترب مني النار. تلمسني. وحين توشك أن تبتلعني أفرد جناحاتي وأطير .. !.

إصرار

أقع. تنجرح ركبتي للمرة الألف. أرى وجه أمي وهي تؤنبني وتتهمني بالإهمال. أجزع من تقريعها المرتقب. أبكي بشدة. أراقب خيط الدم المنساب. يقترب مني. يسألني عما بي. أشير لركبتي وأخبره أن أمي ستقتلني. يضحك مني ولا يهتم للجرح. يسألني أن أشاركه الركض. أشيح له بيدي وأخبره أن يذهب بدوني. فأنا مشغولة بالبكاء. يصر في عناد. أرفض في طفولية. يبتسم في خبث ويخبرني أني أخشى الخسارة. تنجح حيلته. أتكئ عليه وعلى عكازي وأنهض. نسير سويًا حتى نقطة البدء. يؤكد عليّ ألا أستخدم جناحاتي هذه المرة. يكفيني ثلاث سيقان. أهز رأسي في جزل وأبتسم. يطلق صافرة البداية. أُسقط العكازين وألتقط حقيبة ظهري. أبحث فيها عن الساق الجديدة. ينتبه لبحثي فيصيح فِيْ : لا طيران. أهز رأسي في حبور وأردد خلفه: لا طيران. أُخرج من الحقيبة ساقي الجديدة المصنوعة من الرياح. أُثبتها في المكان الفارغ. تنظر ركبتي المصابة للأخرى الجديدة وتضحك. أربط الركبة المجروحة بمنديلي وأعتدل في وقفتي. أستعيد نشوة الوقوف على ساقين. أركض بسرعة في اتجاه الشمس. أتركه خلفي

وعلى وجهه ابتسامة من لا حيلة له.. أمام حِيَلي للنجاة ! .

تمـرد

يلتصق بي. أدّعي النوم. يلمسني. أجاهد كي لا أجفل. يناديني بصوت خافت. لا أسمعه. تحرق أنفاسه أذني. أتماسك. يملّ، يوليني ظهره. أتنفس الصعداء. يخاطبني قائلا: الرسالة وصلت. لا أرد. تثور كرامته ويشدني إليه. أفتح عيني. يخبرني أنه يكرهني. أبتسم. يسعى لتقبيلي عنوة. أجرح شفتيه بأسناني. يصرخ ويسبّني. أهرب من تحته. يطاردني. لا أتوقف. يقسم أنه لن يتركني وسيسمم دمي الليلة. أقف في مواجهته وكأني غير آبهة. يجن جنونه ويندفع نحوي. تنشق الأرض وتبتلعني !.

شقٌّ مغطى

أشعر بالخوف.أبحث عن مخبأ. أحبو على الأرض بحثا عن شق. أجد واحدا. أتلمسه بيدي. أتأكد من وجوده. أتربع فوقه كلاعبة يوجا أبدية. أظل أتمتم بتعاويذ بالية في انتظار أن تنشق الأرض وتبتلعني. يقتربون مني. قاماتهم العالية تُخيفني. تحجب عني الرؤية. يمدون لي أيديهم. أرفض أن أتلقاها. أربت بيدي على الشق. أتعجّله علّه يتسع ويبتلعني. يبتسمون في وجهي. أرى شفاههم وهي تتحرك لكني لا أسمعهم. تمتد أياديهم لتلمسني. أبدأ في صراخ هيستيري. أخمش من يقترب منهم مني. أنعتهم بصفات ليست فيهم. أرى الحزن على وجوههم. أظل أربت بيدي على الأرض بعصبية. يتركونني ويذهبون حَزانى. لا أستوقفهم. أوجّه كل طاقتي السلبية وغضبي نحو الشق. لكنه لا يتسع ولا تنشق الأرض. أصمد ولا أتحرك من مكاني. أعلن لنفسي بغضب طفولي أني عنيدة كما يليق ببغلة ولن أتحرك من مكاني حتى تنشق الأرض وتبتلعني. لكن الأرض لا تفعل. أملّ من جلستي

وانتظاري. تمر الساعات وأنا في مكاني. أكتشف حقيقة أن الأرض لن تبتلعني لمجرد أني أريد ذلك. أنهض مرغمة وأبحث عن دوائي. أتناول قرصين. أعود لأغطّي الشق كما كان.

تطهر

أنتظر حتي أنام. أنهض بهدوء. على الضوء المناسب من خارج الغرفة، أمد يدي نحو صدري وأخرج قلبي. أمشي على أطراف أصابعي نحو الحمام. أضعه في دورق زجاجي. أفتح عليه الصنبور. أنتظر حتى يصبح الماء شفافًا. أرفع الدورق بعيدًا عن متناول الأطفال والقطة. أغلق الباب خلفي. أعود لسريري. أندس في جسدي وأتظاهر بالنوم وكأني لم أفارقني. في الصباح، أشعر بخفة لا أدري لها سببًا. أتجه نحو باب الحمام المغلق. أقف أمام المرآة. ألاحظ أن قلبي ليس مكانه. أبحث حولي فأرى الدورق. أمد يدي لألتقط قلبي نظيفا يتساقط منه الماء. أعيده لموضعه وأبتسم لنفسي وأتمتم لي: صباح الخير.. !.

جرّبت تآكل حد .. ؟!*

فجأة أكتشف أني أكلتُك حد التخمة. أكلتُك حتى أُصبت بعسر هضم دائم لا يزول. أكلتُك لدرجة أصابتني بالغثيان. أربتُ على نفسي وأخبرها أني بعد اليوم لن أفعل. سأتوقف عن أكْلك. سأزهد فيك. وعما قليل سيزول طعمك الذي يملأ روحي ويسُد مسامي حتى أنه يختلط بأنفاسي ويبدو للعيان. لكن نَفْسي ترفض إلا أن تتخلص منك تمامًا. أحاول أن أتجاهلها وأنام. أمنّيها أنك غدًا أو بعد غد بالكثير ستُهضَم وتتلاشى ولا يبقى منك فيّ شيء. لكن نفسي تشدني من شعري. تجرني نحو الحمّام. تُجبرني على وضع إصبعي في حلقي كي أتقيأك. أبكي. أُخبرها أن فعل التقيؤ عن غير رغبة يؤلمني. ترفض إلا أن أتقيأك الآن وأتخلص منك كليةً. تعاود دس إصبعي مرة. مرتين. ثلاثة. ترفض أنت أن تغادر روحي. تتشبث بمسامي. تتسرب تحت جلدي. تعاود هي الكَرّة وأنا لا

---

* العنوان من نص لـ أميرة حسن الدسوقى

حول لي ولا قوة بينكما. فقط أبكي. وأتألم علّ أحدكما أن يرحمنى. ترفض هي أن تتوقف حتى تتخلص منك تمامًا. أشرق بك وهي تحاول إخراجك من فمي. أُغلق أسناني كي أحتفظ بك. تهرب أنت إلى دمي. تختلط به حتي يصعب أن يُنال منك. تزداد نَفْسي غضبًا وإصرارًا. أستسلم أنا. أفتح فمي لأتقيأك. أتعرّق. فتخرج من مسامّي. لا يتبقى منك فيَّ شيءٌ. أجلس على الأرض وأبكي. تقترب نفسي. تجرّني نحو حوض الاستحمام. تغسلني. تمحو أثرك وتقضي على رائحتك وتُبخّر روحي فلا يتبقى منك شيءٌ. تُمشط شعري وتربت عليّ وتخبرني أن مسامّي المفتوحة وروحي المهترئة ستلتئم عما قريب. ستلتئم دون وجودك بداخلها. أضع رأسي على الوسادة وأنام لليلة الأولى دون أن يقف طعمُك على طرف روحي. أنام كطفلٍ فطيم في أول ليلة له دون صَدر أمه، ينام والدموع ملء عينيه، والألم ملء روحه، والفقد يأكل ما تبقى منه. في الصباح، أستيقظ باكرًا بما لا يليق بعملية استئصالك المُتعبة من روحي. أستيقظ لأجدك واقفًا في انتظاري. تبتسم لي. تُفاجئني وتحتضني بقوة. تتجه نحو مسامي المفتوحة وتتسرب بسرعة فائقة إلى داخل روحي. تتخللني وتعود من جديد. تعود كما يليق بعنقاء، مهما بدا للعيان أنها تحتضر. لا تلبث أن تتلاشى فـ تعود !.

شكرٌ لازِم.. وإن لم يكن بيننا شكر

لـ أحمد عبد الحفيظ، «My Hero».

وإليك أيها القارئ الكريم ..

الفهرس

لوح رخام أبيض 9
صوت 13
وليد 15
تكبيرة إحرام 19
حبيبة 21
فستان مشجّر 25
زلة قدم 29
خيانة مشروعة 31
نسوا كما نَسي 33
روح اللعبة 35
العصفورة 39
لا أُطاق 41
سيناريو الغضب 43
عقد قران 47
ثقبٌ يتسع 49
حيلة مجربة 51
روح 53
سر أبيه 57
لعنـــة 59
آثـار جانبية 65
مترو 67
قطار فائت 73
الصغيرة 75
استيقاظ محبب 79
سيارة حديثة حمراء 81
مـطر 85
رائحة ثقيلة 87
بعيدا عن هناك 91
خوف 95
رائحة البـن 97
عودة 99

حضن 103
استحقاق 105
أبيـض 109
عبور 111
ضحكة عالية 115
ارتقاء 117
موت يليق بي 121
مرارة مُغلّفة 125
اعتداء 131
عجز وقط أسود 133
تحـوّر 137
اللارجـوع 139
إصرار 141
تمـرد 143
شقٌّ مغطى 145
تطهر 147
جربت تآكل حد 149

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..
بالفصحى , بالعامية أو حتى بالأنجليزى ..
بتحب تكتب , أو تعرف حد بيحب يكتب , كلمنا ..
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك
وتكون كاتب معروف ..
لأن فى كيان , للإبداع مكان ..

اتصل بينا على :
محمول: 01005248794 – 01001872290 – أرضي:
0235688678
www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :
info@kayanpublishing.com

وتابعنا :
كيان للنشر والتوزيع
www .Facebook.com/kayan.publish
Twitter.com/kayanpublishing
www.pinterest.com/kayanpubishing
instagram.com/kayan_publishing